

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي - الأغواط

كلية علوم الإنسانية و الحضارة



مشاريع النهضة في المغرب العربي خلال
القرن التاسع عشر
نموذجين : خير الدين التونسي والسلطان الحسن الاول

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر

تخصص : تاريخ المغرب العربي المعاصر

الأستاذ المشرف:

محمد يزير

إعداد الطالبة :

*فاطمة الزهراء بقاقر

السنة الجامعية : 2020/2019

إهداء

الحمد لله فالق الأنوار، و جاعل الليل و النهار ثم الصلاة و السلام على الحبيب المصطفى.

إلى كل من أَرْضَعَتْ لبن الحنان، و سَقَّتْني ماء الحَيَاة، إلى من تَطَّبَّ أَيْامَ بَقَرِهَا، و سَعِدَ قلبي بهنائها، إلى أغلى كائن في الوجود أُمي خيرة زِعْزَاع . وامي الثاني ام الخير.

إلى من كان لي سندا طوال الحَيَاة، و لم يُبْخَلْ علي بالنفس و النفس والدي العزيز مسعود و الي والدي الثاني حرز الله . و الي زوجي عيسى زِعْزَاع إلى من ترعرعت معهم و نما غصنُ بَنِّهم، إخوتَي و أخواتي عباس، احمد، سايح ،عمر، عبد الغني ،مصعب ،امين، وابنتي خيرة هديل، اخواتي، زروقة، نورالهدى ،أسماء ،وهاجر و بناتها مريم وسارة وزوجة أخي زهرة و دانا وزقروطة الي جدتي فاطنة اطل الله في عمرها وجدي سايح وأحمد وفاطمة رحمهم الله .

فاطمة الزهراء

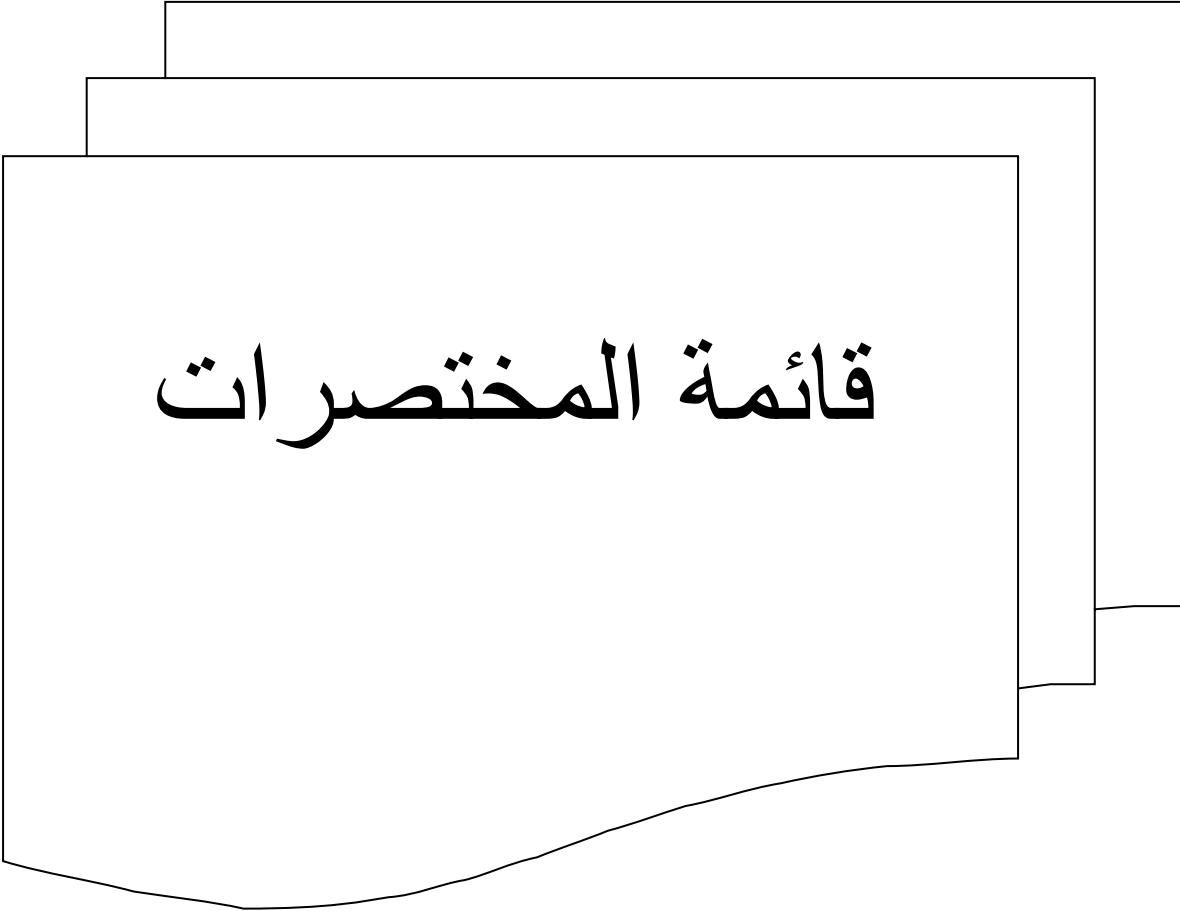
تشكرات

يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " من منطلق هذا الحديث اتوجه إلى الله تعالى بالحمد و الشكر و الثناء كما يحبها يرضاه على أن وفقتي في انجاز هذا العمل على ما فيه من ضعف البشر و قصر النظر فما كنت فيه من صواب فهو من محض فضله سبحانه و تعالى و منه علينا, فله الحمد و الشكر و نسأل الله العفو و الغفران أتقدم بالشكر الخاص إلى كل الأساتذة الذين منوا علينا بمساعدتهم و توجيهاتهما لقيمة و معلوماتهم النيرة.

و إلى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل المتواضع و لو بكلمة طيبة

و ابتسامة صادق . إليكم كلكم أخلص التشكرات

فاطمة الزهراء



قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

1_ باللغة العربية :

الرقم	الاختصار	معناه
01	ج	جزء
02	ص	صفحة
03	ط	طبعة
04	م	ميلادي
05	هـ	هجري
06	بلات	بلا تاريخ
07	مج	مجلد
08	تح	تحقيق
09	ب ر ص	بدون رقم صفحة
10	ب ر ط	بدون رقم طبعة
11	ب د ط	بدون دار الطبع
12	ب م ط	بدون مكان طبع
13	تع	تعريب

ترجمة	تر	14
تنقيح	تن	15
تقديم	تق	16
عدد	ع	17

2_ باللغة الأجنبية:

Numero	Abreviation	Sens
01	OP.CIT	OPER.CITATION
02	P	PAGE

مقدمة

المقدمة:

يأتي التصدي بهذه الدراسة لمشاريع النهضة في المغرب العربي خلال القرن التاسع عشر، عبر دراسة الشخصيات التي أدت أدواراً فكرية وسياسية في تلك الأحداث في مقدمة الموضوعات التي تستحق اهتماماً كبيراً من لدن المؤرخين ، وذلك إن مشاريع النهضة في تونس والمغرب الأقصى بشكل خاص تشكل امتداداً للتاريخ المغرب العربي بل هي جزء لا يتجزأ منه .

ومن بين هذه الشخصيات التي وقع اختياري عليها شخصية خير الدين التونسي في تونس (1820-1890م)، و السلطان الحسن الأول في المغرب الأقصى (1873-1894م) وعلى الرغم من أن حجم الموضوع اكبر بكثير من أن تستوعبه رسالة ماستر إلا أننا اضطررنا لعدم تجزئته من أجل الحفاظ على تكامل الموضوع .

و من هنا جاء اختياري للموضوع مشاريع النهضة في المغرب العربي ، خلال القرن التاسع عشر ميلادي بتركيز على تونس و المغرب الأقصى للأسباب التالية :

_ رغبتني في معرفة الأوضاع التي أدت إلى المشاريع في تونس و المغرب الأقصى خلال القرن التاسع عشر.

_ دراسة مشاريع النهضة في تونس و المغرب الأقصى من حيث مجالاتها و مراحلها و نتائجها .

_ التعرف على ابرز الشخصيات التونسية و المغربية التي ساهمت في النهوض بمجتمعها في كافة المجالات و الإصلاحات التي قاموا بها خلال القرن التاسع عشر.

أما الإطار الزمني للبحث فاليرتبط بالقرن التاسع عشر الذي شكل تحدي مصيريا بالنسبة للعرب ، و اعتبار البعض معركة وجود ، بالنظر للمحاولة للسيطرة و الاحتلال التي مارستها الدول الكبرى، و قد استجاب العرب لذلك التحدي من خلال الانخراط في النهضة .

المقدمة

أما الإشكالية التي حاولنا معالجتها في هذه المذكرة فتمكن في فهم و دراسة مشاريع النهضة في المغرب العربي خلال القرن التاسع عشر ، وبشكل في تونس و المغرب الأقصى ، نطرح التساؤلات التالية :

_ كيف كانت المشاريع النهضة في تونس ؟ و ما مساهمة خير الدين التونسي في الإصلاحات في جميع المجالات ؟

_ كيف كانت مشاريع النهضة في المغرب الأقصى ؟ و ما مساهمة السلطان حسن الأول في الإصلاحات في جميع المجالات ؟

أما المنهج المتبع في دراسة هذا الموضوع هو المنهج التاريخي ، و ما تقتضيه المادة التي تتركز على عدت مناهج لدراسة أي موضوع ، منها المنهج الوصفي الذي يهتم بوصف الأحداث و تسلسلها وفق الطبيعة المكانية و الزمانية .

لم تكن معالجة هذا البحث بالأمر السهل ، فقد واجهتنا عدت صعوبات كانت من أبرزها :

_ صعوبة الحصول على كل المصادر التي أرخت للنهضة في بلاد المغرب العربي و خاصة في تونس و المغرب الأقصى .

_تشابه المعلومات في الكثير من المصادر و المرجع التي اعتمدنا عليها .

_ صعوبة الجمع بين العمل و البحث العلمي .

وفي محاولة للإحاطة بمختلف جوانب الموضوع فقد قسمته إلي مقدمة ثلاثة فصول وخاتمة وملاحق.

تناول في الفصل الأول عنوانه أوضاع في تونس و المغرب الأقصى خلال القرن التاسع عشر و فيها تناولنا المبحث الأول الأوضاع في بلاد التونسية و أيضا الأوضاع قبل

المقدمة

النهضة و سياسة محمود باشا و الأوضاع بلاد التونسية في عهد الإصلاحات و ذكرنا إصلاحات احمد باي (1806_1855 م) و الباي محمد الثاني (1811_1859 م) و الباي محمد الصادق (1814_1883م) أما في المبحث الثاني عنوانه الأوضاع المغرب الأقصى خلال القرن التاسع عشر تناولنا نشأة الدولة العلوية إلى عام 1873 و السلاطين الإشراف الذين حكموا الدولة العلوية . أما في الفصل الثاني عنوانه ، خير الدين التونسي و اصلاحاته ، في المبحث الأول شخصية خير الدين التونسي ،نسبه و نشأته و حياته في قصر الباي احمد و مساره في العلم و التعليم ومساره في الجيش و مساره الوظيفي و وفاته ،وأما في المبحث الثاني تم التطرق فيه لأعمال خير الدين التونسي الاصلاحية التي شملت على تنظيم الجهاز الحكومي و الاصلاح المالي والقضائي والحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية .

أما الفصل الثالث وعنوانه السلطان الحسن الاول و اصلاحاته ،وتناولنا المبحث الأول وتم التطرق فيه نسبه ونشأته وصيفاته و اهم ما ورد في هذا المبحث حملات التي بلغت تسع عشر حملة قادها بنفسه للتخلص من الفتن و الاضطرابات التي اثارها القبائل ضده ،وأما في المبحث الثاني ، تم التطرق فيه لأعمال السلطان الحسن الإصلاحية التي شملت على تنظيم الجهاز الحكومي والإصلاح المالي والقضائي والإصلاحات العسكرية وتنظيم الجيش والحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مسعى لتقصي المحاولات الإصلاحية التي بذلها السلطان في هذه المرحلة البالغة الأهمية محلياً .

وخلصت خاتمة إلي مجموعة من الاستنتاجات و الملاحظات التي توصلت إليها من خلال دراسة . اعتمدت الرسالة على عدد من المصادر والكتب الوثائقية والمراجع التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع البحث ومن أهمها المؤلفات التونسية، و أهمها كتاب

المقدمة

"أتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان " لمؤلفه ابن أبي الضياف ، و كتاب "مسامرات الظريف بحسن التعريف " لصاحبه محمد السنوسي ، و كتاب " الإعلام لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين ، ج2 ، لمؤلفه خير الدين الزركلي ، و كتاب "العالم العربي في التاريخ الحديث " لصاحبه إسماعيل ياغي و محمود شاكر ، وكتاب "زعماء الإصلاح في العصر الحديث " لصاحبه احمد أمين ، و كتاب تراجم المؤلفين التونسيين "لصاحبه محمد محفوظ ، كما استفدنا من المقالات المنشورة في بعض الصحف و الجرائد ، كمقالة "الإصلاح والتحديث في الوطن العربي " ، لصاحبه علي محافظة في جريدة الدستور الأردنية ، أما بالنسبة المغرب الأقصى نذكر أهم المصادر و المراجع، المؤلفات المغربية ، وأهمها كتب الناصري وعبد الرحمن بن زيدان وعبد الهادي التازي وعبد الوهاب بن منصور وإبراهيم حركات ومحمد داود ومحمد المنوني وغيرهم من الكتاب والمؤرخين المغاربة ، وهذه المصادر رغم إنها محكومة بالثوابت المغربية بالتأليف إلا إنها اتسمت بعدم جراءة هؤلاء الكتاب في نقد تجارب سلاطينهم ، وتحاشي أبراز سلبياتهم ، ومحاولة تحميل إخفاقاتهم على القوى الأجنبية ومع هذا فإن قرب هذه المصادر ومعاصرتها للأحداث وفهمها بشكل عام لطبيعة العقلية المغربية تعطيها أهمية خاصة وتمنحها حق الصدارة في بحث تاريخ المغرب .

ثانياً : الكتب والمراجع العربية ، التي يتقدمها كتاب، جلال يحيى تاريخ المغرب الكبير يعد مصدراً مهماً إذ يقدم لنا معلومات قيمة عن تاريخ المغرب العربي عامة والمغرب الأقصى خاصة ولاسيما عهد السلطان الحسن .

وكتاب صلاح العقاد ، المغرب العربي بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي الذي تطرق فيه للمسألة المغربية أوريبا ، كما يعد كتاب حسن صبحي ، التنافس الاستعماري مصدراً مهماً فقد اختص بدراسة مرحلة مهمة في تاريخ التغلغل الأوربي في المغرب لاعتماده على وثائق فرنسية وألمانية تتعلق بتلك المرحلة . وشكلت المصادر الأجنبية مصدراً مهماً

المقدمة

للمعلومات أغنت الرسالة في الكثير من جوانبها وعلى الرغم من تركيزها على التنافس الأوربي في المغرب ، إلا أنها لم تهمل الأحداث الداخلية ، ومن هذه المصادر ، كتاب روجرز تاريخ العلاقات المغربية حتى عام 1900 ترجمة وتعليق يونان لبيب رزق لاعتماده على الوثائق البريطانية وكذلك بعض المصادر المهمة التي تناولت هذه الحقبة ومنها .

Parson, F.V. The Orignis of Morocco & Questions 1880-1900.

Miege, Lemaroc et L'e Urope. 1844-1912.

وغيرها من المصادر وقد تميزت هذه المصادر بغزارة مادتها الوثائقية وجراتها في التحليل، و اعتمادنا على بعض المقالات و نذكر من بينها " دبلوماسية الحسن الأول " لصاحبه.إبراهيم.حركات.

الفصل الأول: الأوضاع تونس و المغرب الأقصى خلال

القرن التاسع عشر

المبحث الأول: الأوضاع في البلاد التونسية

المبحث الثاني: الأوضاع في المغرب الأقصى

الفصل الأول :الأوضاع تونس والمغرب خلال القرن التاسع عشر

في هذا الفصل سوف نتكلم عن الأوضاع التي مرت بها البلاد التونسية والمغرب الأقصى خلال القرن التاسع عشر وما قبله ببضع عقود من الزمان

المبحث الأول : الأوضاع البلاد التونسية

1. الأوضاع البلاد التونسية خلال القرن التاسع عشر

دخلت تونس إلى حظيرة الولايات العثمانية منذ 1574م، ومرت بثلاث مراحل في الحكم أولاها الباشاوات (982-990 هـ/1574-1590 م) ثم الدايات (990-1051 هـ /1590-1639 م) ، ثم البايات وحكمت منها أسرتان المرادية (1048-1114 هـ /1637-1702 م) ، ثم الأسرة الحسنية (1117-1377 هـ /1705-1957 م) التي أنشأها⁽¹⁾ حسين بن علي تركي⁽²⁾ الذي بويع بالخلافة وأصبحت الولاية من بعده وراثية ، وبقيت الأسرة تحكم إلي قيام الجمهورية التونسية عام (1377 هـ -1957 م) وحكمت البلاد كما مستقلا عن الدولة العثمانية ولكنهم كانوا يعدون أنفسهم تابعين لها دينيا قبل الاستعمار الفرنسي⁽³⁾

(1) احمد باغي ومحمود شاکر ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، ج2 ، قارة إفريقية ، دار المریخ ، الرياض ، السعودية ، 1993 ، ص93 .

(2). أبو محمد بن حسين علي تركي (1080،1153 هـ) نشأ بعناية من والده ، وعمل في قيادة الإعراض و الجديد ، و عند انهزام الحملة و اسر قائدھا ، ثم تم مبايعته من قبل أهل الحل و العقد بعد امتناعه ، و رجعوا بايعوه بالديوان المقابل لباب القصبه لتونس صبيحة يوم الاثنين عشرين ربيع الأول سنة عشرة ومائة ألف ... الخ ، انظر خير الدين الزركلي

(3). نفسه ، ص 139 .

في هذا المبحث سنركز على كل من البايات الحسينيين الذين حكموا في القرن التاسع عشر ، مبرزين أوضاعهم ومظاهر النهضة في عهدهم ،

2. أوضاع البلاد التونسية قبل النهضة :

كانت تونس مثل سائر ولايات الدولة العثمانية كمصر والشام والحجاز مقر الحضارة قد هزمت ، ذهبت روحها ولم يبق إلا رسمها فمثلا الحياة العلمية تعتمد على الكتابات والمنتشرة في القرى والمدن هدفها تحفيظ القرآن الكريم وقلة من يبلغ ذلك وعلى رأس هذه الكتابات "جامع الزيتونة " وهو صورة مصغرة على الأزهر ، والذي تقرأ فيه علوم الدين وعلوم اللغة في كتب مقررة ⁽¹⁾، وجزء كبير من السكان البد ولا يعلمون من الدين إلا الشهادتين ولا يصلهم شيء من العلم إلا في الزوايا التي أنشأها الصوفيون ، أما الجاليات الأجنبية كالفرنسية والايطالية والانجليزية فليدبر مدارس تعلم لأبنائهم وبعض أبناء البلاد اللغات وجغرافيا والتاريخ والحساب والهندسة والجبر فتخرج منهم اقدر على فهم الحياة فانغمسوا فيها ⁽²⁾.

2.2) الأوضاع الاقتصادية:

1.2.2 _ الزراعة:

فكانت الزراعة في البلاد التونسية أهلاه فلاحون يعتمدون على وسائل تقليدية قديمة ، وساهم بعض الأوربيين في هذا المجال فاطعموا ولقحوا وبخروا الأشجار وريحوا ما لم ينالوه أهلاها ⁽³⁾

(1) احمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ص148

(2) نفسه ، ص149

(3) نفسه ، ص149-150

ثم سيطروا على الأسواق الخارجية، وخاصة في أهم منتج تونسي وهو زيت الزيتون، فأقاموا المعاصر البخارية، واحتكروا التجارة إلا القليل النادر من أهل البلاد (1).

2.1.2 ()_الصناعة:

كانت تونس مشهورة بصناعة نسيج و المسمى "الششية" ومصانعها كثيرة و مصدر للكثير من سكانها و لكن المنافسة الأجنبية بالآلات التي تدار بالبخار أصبح سعرها رخيصا و أصبح عدد المصانع ثلاثين بدل الإلف ناهيك عن الفقر و الخراب بالإضافة إلى مزاحمة "الجزمة " البلغة " و هذا مثل الضربة القاضية للصناعة التونسية و الذي اخل الميزان التجاري فكثر الوارد و قل الصادر و تغلب الفرنسيون و الايطاليون على السوق امسكوا بزمامه (2).

3.1.2 ()_التجارة:

و الذي اضعف التجارة سوء أدوات النقل و فساد الطرق فكانوا يعتمدون في النقل على الحيوانات و العربات التقليدية أما الطرق تتعطل عن الهطول الأمطار حيث القبائل تنقل غلاتها في قوافل (3)

(1) احمد أمين، المرجع السابق، ص150

(2) محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، تع محمد الشاوش و محمد

عجيبة ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993م، ص 75

(3) نفسه ، ص95

3.2 الأوضاع السياسية:

1.3.2 الإدارة:

الإدارة التونسية كانت فوضوية الحاكم بأمره و احد الناس إليه يجمع له المال من حله و حرامه ولا ضبط في الداخل و الخارج و العدل و الظلم متروكان لمصادفات و كل هذه و الجيش و الضرائب و غيرها تسير وفق نضام عتيق بالي و الأوامر تكون شفوية و لا مرجع لها و لا يمكن الحساب عليها (1)

كانت تونس تحت حكم البايات و هو تابع للدولة العثمانية تبعية ضعيفة فتونس شبه مستقل و الباي حر في التصرف فيساعدوها في الحروب كما يحمل إليها مبالغ من الأموال و الهدايا و تدخلها لحل المشاكل التونسية (2)

سياسية حمودة باشا (1173-1229هـ/1760-1815) .

أ (نشأة حمودة باشا (1173-1229 هـ / 1760-1815).

هو الأمير أبو محمد حمودة بن علي بن حسين بن علي تركي ولد ليلة السبت 18 ربيع الثاني سنة (1173 هـ - 1760) ، اهتم والده به وأحضره من المربين والمعلمين في السياسية والعلوم المعقولة والدينية الذين أشرفوا عليه مثل : الشيخ الحاج حمودة بن عبد العزيز والشيخ حمودة بن باكير ، وعندما بلغ السبعة عشر من عمره بيعته عزة محرم سنة (1191هـ- 1777 م) وتم تهنئيه ، ثم تقلد منصبه فظهرت منه كفاءة و الخبرة و حسن الفراسة ، ولما توفي والده استقل بالملك (3)

(1) احمد أمين ، المرجع السابق ، ص148

(2) نفسه ، ص150

(3) محمد السنوسي ، المصدر السابق ، ص 10

مجهوداته :

رغم الأوضاع التي شاهدها تونس في القرن الثامن عشر مثل الطاعون سنة (1784-1785م) ومجاعة (1804-1805م) وما ورثه حمودة باشا عند وفاة والده ، فلقد تمكن من الارتقاء بالنظام الحسيني ، فاتبع سياسية التحالف و الاشتراك مع الأهالي في المصلحة ثم نظمها ، وتضاعف المورد الخارجي المحصل من الجهاد البحري والتجارة الخارجية ⁽¹⁾ التي كانت قائمة بين تونس والمغرب الأقصى ومع بعض الدول الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى⁽²⁾ ، كما عمل على إنهاء العداء بين العامة المستغلة والأعيان وعوضه بمحاربة الدخيل.⁽³⁾

بالنسبة للعلاقات مع الأوروبيين خاصة في المجال الاقتصادي فحدد مصلحة تونس وتجارها بعدما حدث مع التجار والبنديقية ورغم الضغوط (1784-1792 م) إلا أنه فرض شروطه، وكانت علاقاته مع فرنسا جيدة بالمقارنة مع الدول الأوروبية.⁽⁴⁾

أما مع العثمانيين فوجه جيشه لا استرجاع جربه نحو طرابلس التي أعادتها لسلطتها واعتذر وتغاضى السلطان على ذلك وأصدر فرماناته عام 1795 م، العلاقات مع الجزائر فكانت حساسة ودقيقة وذلك بالخروج من التبعية إليها خاصة مع عهد حمودة باشا وتحسين الفرص والأزمات التي تحدث¹ في الجزائر وأيضا أصلح أسوار مدينة تونس ⁽⁵⁾ . وبعد وفاة حمودة باشا في سبتمبر 1814 م بدأت الأوضاع تتدهور في تونس واندفاع القوى الأوروبية نحو السيطرة على منطقة شمال افريقية بعد 1815م بدحر نشاط القرصنة وإضعاف قيمة

(1) محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من العصور من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، تع محمد الشاوش و محمد عجينة ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993م ، ص 88

(2) محمد تواتي و محمد عطلاوي ، سياسة حمودة باشا الداخلية في تونس (1782-1814م) ، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تاريخ حديث و معاصر ، اشكاكي محمد ، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة زيان عاشور ، الجلفة ، 2013 ، 2014م، ص19

(3) محمد الهادي الشريف، المرجع السابق ص 88

(4) نفسه ، ص 88، ص89

(5) نفسه ، ص88، ص 89 ،

المنتجات التونسية (من حبوب وزيت و غيرها) وانتقال التصدير إلى التجار الأوروبيين الذين سيطرة على الأسواق التونسية ، بالإضافة إلى سياسية الإصلاحات التي أشار بها القناصل والمستشارون التجار وينادي به الوسطاء وذوي النوايا الحسنة من الأهالي ، التي انتهجها بايات تونس القرن التاسع عشر (1).

1) الأوضاع بلاد التونسية في عهد الإصلاحات :

1.3 (أحمد باي (1221-1271 هـ / 1806-1855 م) (2)

انطلقت الحركة الإصلاحية في بداية الأربعينات مع أحمد باي ، فقد انبهر بالجانب المادي للحضارة الأوربية وحاول الاقتداء به في جميع الميادين من جيش وإدارة وتعليم والتقنية والصناعات (3)، وذلك قصد اكتساب أسباب قوة أوروبا الغربية للنهوض بالبلاد التونسية (4)

أ) مولده ونشأته:

هو المثير أبو العباس، أحمد بن مصطفى بن محمود بن الرشيد بن حسين بن علي تركي (5) ولد في 21 رمضان سنة 1221 هـ الموافق ليوم الثلاثاء 2 ديسمبر 1806 م وأمه جارية جاءت صغيرة مع أمها وأختها ، وترت بدار جدته ، اعتنى أبوه بتربيته وتهذيبه على

(1) محمد الهادي الشريف، المرجع السابق ص 96-97

(2) زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط 1 ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، عمان ، 2011، ص 39

(3) علي محجوبي ، النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر لماذا فشلت بمصر و تونس و نجحت باليابان ، مركز النشر الجامعي و سراس للنشر ، تونس ، ماي 1999م ، ص 23

(4) زاهية قدورة ، تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ص 457

(5) احمد بن أبي الضيافة ، اتحاف أهل الزمان بإخبار ملوك تونس و عهد الأمان ، تحت لجنة من وزارة الشؤون الثقافية ، مج 2، ج 47، الدار العربية للكتاب ، المطبعة الأساسية المنطقة الصناعية ، بن عروس بولس ، تونس 1999م ، ص 11

ما يقتضيه حال الوقت يومئذ ، فقرأ القرآن على الشيخ الصالح الفقيه أبي العباس أحمد السنان ، تعلم اللغة التركية نطقا وشيا من الكتابة ، وتعلم اللغة الايطالية نطقا فقط ، لازم الشيخ الفقيه الأديب أبا عبد الله محمد الحكيم سيالة ، خالط غيره من الناس وكان في شبابه يتزين في عمامته بري الترك ، والمهابة مع ذلك لاتفارقه في سائر أحواله ،وتخلق بها من صغره⁽¹⁾

ب_ مساره الوظيفي (إصلاحاته) :

• البيعة:

بويع أحمد بأي ضحى يوم الثلاثاء 10 رجب سنة 1235 هـ الموافق 12 أكتوبر 1837 م إثر وفاة أبيه وأول من بايعها ابن عمه وولى عهده وال بيته ، ثم الوزير الكبير أبو الربيع سليمان كاهية⁽²⁾ ، ثم الوزير مصطفى صاحب الطابع ثم بقية الخواص والحاضرين ، ومن الغد بويع البيعة العامة على العادة ، افتتح أمر ولايته بأنفال لخاصة رجال دولته ((قد ظهرت لكم تقديمي على عادة بلادنا ، ومنزلتكم عندي هي منزلتكم عند أبي وعمي وأسلافي ولا معنى للدولة إلا الرجال ، فإذا لم تكونوا معي كما كنتم مع من قلبي ، فلا ملك ولا دولة))⁽³⁾.

(1) محمد السنوسي ، مسامرات الظريف ، المصدر السابق ،ص16

(2) سليمان كاهية أصله من بلاد القرج ، و نشأ في خدمة الباي أبي محمد حمودة باشا و عمل في المجال صيفا و شتاء ، فامن الطرقات كما يتم استشارته في المهمات و غيرها... الخ ، انظر احمد بن أبي الضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس ... ، مج4،ج8، ص39 ص40

(3) نفسه ، ص 12

ولي أحمد باي من عام 1837م حتى عام 1854 م ، وقد تميز هذا الباي بدبلوماسية
وبعلاقاته الحسنة ، خاصة مع السلطان العثماني محمود الثاني⁽¹⁾ ، وقد أنعم عليه هذا
الآخر بالخلفة السنية ورتبة المشيرية⁽²⁾

وقد احتل أحمد باي مكانة مرموقة بين البايات ،وقد أثرت شخصية في حياة البلاد
الفكرية ، إذا كان يجب العلم ويشجع الطلبة ، يعظم العلماء ويغرف منازلهم ، وكان ولوعا
خاصة بفن التاريخ ، بالأخص بـ " مقدمة ابن خلدون " ⁽³⁾

في زمنه بدأت حركة التنظيمات في الدولة العثمانية في عهد السلطان محمود
الثاني⁽⁴⁾، ومن الولاة الذين اتصل بهم السلطان وحثهم على اقتباس المدنية الغربية واستيراد
تقنياتها الحديثة لتطوير المؤسسات العسكرية كان الباي التونسي أحمد باش⁽⁵⁾

(1) محمود الثاني ولد عام(1199هـ) تسلم الخلافة وعمره أربع و عشرون سنة ، كانت السلطنة في عصر الضعف و في
عهده حاول إصلاح نظام الانتشارية، لكنه فشل في البداية ثم الغ نهائيا ،وعقد صلحا مع الانجليز و فشل مع الروس
، وخذت معهم حرب ، و صادفت السلطان مشكلة الصرب (1232/230هـ)،و محاولة محمد علي الانفصال عن
الدولة العثمانية و قد نجح إلا ان الدول الأوربية حدث من توسعه ، وقبلها الحركة الوهابية في الحجاز ، وثورة اليونان
، و احتلال الجزائر من قبل فرنسا و غيرها ، و توفي قبل أن يصله نبأ المعركة مع ابراهيم باشا بن محمد علي في
19 ربيع الثاني 1255هـ ،انظر: محمود شاكر ، المرجع السابق ، صص 159 -171-علي محجوبي ، المرجع
السابق، ص23

(2) احمد أمين ، زعماء الاصلاح ، المرجع السابق، ص 150

(3) سمير أبو حمدان ،أبو النهضة التونسية خير الدين التونسي ، موسوعة عصر النهضة ، دار الكتاب العالمي ، بيروت
، لبنان ، 1413هـ/1993م، ص 16

(4) إسماعيل ياغي و محمود شاكر ، تاريخ العالم الإسلامي ، ج 2 ، المرجع السابق ، ص94

(5) علي محجوبي ، المرجع السابق ، ص 23-24

2.2) الاصطلاحات أحمد باي :

أ_ الإصلاحات العسكرية :

قد طلب السلطان محمود الثاني من أحمد باي أن يدخل الأنظمة الحديثة في تونس وخاصة الجيش ، فطلب الباي منه التمهّل والتدرج في التغيير بسبب عادات البلاد وتقليدها وعقليتها ، ثم أخذ فعلا في تنظيم الجيش ، وكتب إلي فرنسا يسألها المعونة في ذلك فأرسلت إليه بعثة من الضباط الفرنسيون على رأسها القومندان كامبنون (1)

- فقد أنشأ جيشا قوامه 25 ألف رجل وأنشأ كذلك مصانع للذخيرة ودار لصناعة السفن وبناء أسطول تونسي ، كما اشترك مع الدولة العثمانية في حرب القرم (2)
- فقد جلب من فرنسا كل ما يلزم من تكنولوجيا وقوى عاملة حي يؤسس صناعات مساعدة للجيش من ترسانات ومصانع سبك المعادن ومصانع أنسجة أصناعة اللباس الموحد ومدابغ لصناعة السروج والأحذية الطويلة (3)
- أنشأ المدرسة الحربية بباردو 5 مارس 1840 م ، كان معهد باردو مكتب العلوم الحربية ليتعلم فيه الجنود التونسيين علوم العلوم الهندسية من المساحة والحساب وغيرها (4)

(1) أحمد أمين، المرجع السابق، ص 151-152

(2) علي محجوبي ، المرجع السابق ، ص 58

(3) إسماعيل ياغي و محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص 94

(4) صلاح زكي احمد ، اعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث ، ط 1 ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، مصر ، 2001م ، ص 31

ب_ الإصلاحات الاقتصادية :

كما ومهما يكن من أمر ورغم واقعية أحمد باي الذي عمل على أن تقوم مشاريعه الصناعية على موارد أولية متوفرة بالبلاد كالقمح والزيتون والصوف والجلد والرصاص ، وعلى سوق تعتمد على حاجيات الجيش (1) .

وذلك رغم تأسيسه سنة 1847 م لبنك قصد إصدار العملة الورقية ، وتمويل المؤسسات الاقتصادية على منوال القوى الأوربية وذلك هو أول بنك يقع تأسيسه في العالم العربي الإسلامي في النصف الأول من القرن التاسع عشر (2)

ج _ الإصلاحات الاجتماعية :

1) إلغاء الرق :

في نفس السياق عمل أحمد باي على تحرير الإنسان من العبودية وذلك بإلغاء الرق في سائر المملكة التونسية(3) وذلك عبر مراحل فبدأ بمنع تصدير العبيد من تونس سنة 1841 م ، ومنع بيعهم في السوق ثم منع استيرادهم إلى تونس سنة 1842 م ، أصدر مرسوم باعتبار المولود في تونس حر لا يباع ولا يشتري في السنة نفسها، وألغى الرق نهائيا في 26 جانفي 1846 م (4)

(1) علي محجوبي ، المرجع السابق ص 88

(2) نفسه ، ص 88-89

(3) نفسه ، ص 90-91

(4) علي محافظة ، الإصلاح و الحديث في الوطن العربي (5) الإصلاح و التحديث في تونس بالقرن التاسع عشر ، جريدة الدستور ، 15119 ، ج4/1 ، الاعد 25 شعبان 1430 هـ / 16 أوت 2009م ، سنة 42 ، الأردن ، ص 19

د- الإصلاحات الثقافية :

1. حركة إصلاح التعليم بالجامع الأعظم (جامع الزيتونة)

لقد قام أحمد باي بالاعتناء بالجامع الزيتون وزوده بخزائن نفسية من الكتب ، كما أصدر أمرا علميا 1842 م في تنظيم التعليم به وترتيب دورسه وتعين هيئة من العلماء وهي النظارة العلمية (1).

وقد اعتبر محمد بن الخوجة نهضة تونس أيام أحمد باي النهضة الثانية بالعصر الحسني ، فأسس المدرسة الصادقية (2).

هـ - الإصلاحات العمرانية :

يعد زيارته إلي فرنسا رجع معجبا بمظاهر حضارتها المادية، وقد استرعى نظيرا له في بلاده، فبني صورة مصغرة لهذا القصر القريب من تونس وأسماءه " المحمدية " (3).

وفي الأخير هذا الإصلاحات كانت محدودة بسبب السياسية التي اتبعها الباي ومالقيه من دعم من جهة ورفض من جهة أخرى .

3- وفاته:

توفي احمد باي بعد صراع مع المرض في نصف ليلة الخميس الخامس عشر رمضان 1271هـ الموافق للواحد والثلاثون ماي 1855م ، وقيل أنه رغم المرض كان مهتما بأحوال العسكر وغيرها(4) .

(1) محمد الحبيب ابن الخوجة ، شيخ الاسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور و كتابه مقاصد الشريعة ، سلسلة الذاكرة الحية ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 2008 ، ص 169

(2) نفسه ، ص 170

(3) إسماعيل ياغي و محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص 94

(4) احمد بن أبي الضيافي ، المصدر السابق ، مج 2 ، ج 4 ، ص 166

(ب) الباي محمد الثاني : (1226-1272 هـ / 1811-1859 م)

1 _ نشأته : هو أبو عبد الله محمد حسين بن محمد الرشيد بن حسين بن علي تركي ، ينسب إلي العائلة الشريفة ، ولد (1226هـ 1811 م) ونشأ في عزو بذخ جده ووالده ، ولما توفي عمه ، وابن عمه قبل بالبيعة صبيحة الخميس 16 رمضان (1271هـ 1855 م) (1)

(2) _ إصلاحاته :

يعد تسلمه الحكم قام بتثبيت الوزراء ، فكان مصطفى خزنة دار وزير العمالة والمال ، خير الدين وزير البحرية ، ومصطفى أغاوزير الحرب ، والنصراني فيليبس راق وزير الخارجية ، وجعل التنفيذ في يد الداوي محمد وأقام صهره إسماعيل السني صاحب طابعة ، وقام بتسريح معظم العساكر إلا ما تبقى للحراسة (2)، وقد واصل سياسية أخيه وقام بمجموعة من الإصلاحات أهمها - أصدر " عهد الأمان " عام 1857 الذي يتضمن إحدى عشر مادة (3)، وهو يعتبر أول مشروعات التي حدثت في تونس وكان في شكل دستور (4) .

(1) محمد السنوسي ، المصدر السابق ، ص 18-19

(2) نفسه ، ص 19

(3) زاهية قدورة ، المرجع السابق ص 458

(4) يحي جلال ، تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ، الازارطة ، الاسكندرية ،

مصر ، 1999 ، ص 257

- أدخل الطباعة بالحروف وكانت على الحجر من قبل ذلك
- ونقل للعاصمة بالأنابيب مياه "زغوان" واهتم بالعمران⁽¹⁾.
- كما قام بضرب سكة الذهب والفضة و النحاس باسمه في أحد الوجهين وصاحب السلطنة العثمانية في الوجه الآخر⁽²⁾
- ومن أهم ما قام به تعيين خير الدين وزير الحرية إثر عودته من فرنسا فقام هذا الوزير بإصلاحات في العمران والإدارة وغيرها ،توفي الباي محمد الثاني وخلفه أخوه محمد الصادق وذلك ليلة السبت 26 صفر 1276 هـ /1859م⁽³⁾

(ج) - الباي محمد الصادق (1229-1299 هـ) (1814-1883 م) :

1) نشأته:

هو أبو الوفاء محمد الصادق بن حسين بن محمود بن محمد الرشيد بن حسين بن علي تركي ، ولد في 12 رجب سنة (1229 هـ 1814 م) وترين في عز ولده وجده ، وأول عمل قام به تولى المحلة ، وعندما علم بمرض أخيه عاد وحضر جنازته ، وقبل البيعة العامة صبيحة السبت 26 صفر 1276 هـ 1859 م) وبعدها وصلته بيعه السلطان مع الوزير خير الدين صبيحة 28 جمادى الثانية⁽⁴⁾.

2) إصلاحاته :

أول ما قام به ترك الوزير خير الدين في منصبه وواصل مسيرة أخيه في الإصلاحات ، وأهمها أن وزيره عدل في "عهد الأمان " حاول التمهيد لحياة دستوريه في البلاد ، وتمخضت عن إصدار دستور سنة (1278 هـ -1861 م) ، وهذا الدستور

(1) زاهية قدورة ، المرجع السابق ، ص 459

(2) محمد السنوسي ، المصدر السابق ، ص 19-20

(3) احمد ياغي و محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص 95

(4) محمد السنوسي ، المصدر السابق ، ص 22

عرف سلطة الباي ، وكذلك نص على وراثة العرش ، كما قضى بتشكيل مجلس استشاري مكون من 60 عضوا يعينه الباي مدة خمس سنوات ، واعتراف بالفضل بين السلطان القضائية والتشريعية والتنفيذية ، وأكد مبادئ "عهد الأمان" وتم تعيين خير الدين رئيسا للمجلس لكن سلطة الباي والضغوط المحيطة به لم تمكنه من إتمام مهامه الإصلاحية⁽¹⁾

في عهد نشط جامع الزيتونة وقام بدوره الثقافي إلي جانب المدارس والجوامع الأخرى والمكتبات العامة وأنشأ المدرسة الصادقية 187م المستوحاة من اسمه⁽²⁾، وفي عام (1278 هـ 1861 م) صدرت أول جريدة تونسية " الرائد التونسية " ، كما تنظيم القضاء و الإدارة والمجالس البلدية ومد السكة الحديدية التي تصل تونس بالجزائر وبداخل البلاد الخ⁽³⁾.

(1) احمد ياغي و محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص95

(2) Noureddine Sraieb ،Lecollege sadiki de Tunis et Les nouvelle Selites Ir :Revue du mon de musuiman et de La Mediterranee ، N°72 ، 1994 ، pp ، 37-52 ، p 39

(3) احمد ياغي ، نفسه ، ص 140-141

المبحث الثاني: الأوضاع في المغرب الأقصى

1 (الدولة العلوية منذ نشأتها وحتى عام 1873

ما كاد حكم السعديين⁽¹⁾ . ينقرض عام 1640 حتى ظهرت في البلاد أسرة حاكمة تنتمي هي الأخرى إلى النسب الشريف وهذه هي الأسرة العلوية⁽²⁾، التي ما زالت تحكم المغرب حتى وقتنا الحاضر⁽³⁾.

والعلويين ينتسبون إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وكان موطنهم الأصلي في مدينة ينبع في الحجاز على ساحل البحر الأحمر، يروى بأن أهل سجل ماسة طلبوا منهم الرحيل إلى مدينتهم الخالية من الإشراف، إذ اقنعوا الشريف الحسن بن القاسم العلوي بالذهاب معهم في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي إذ استقروا في واحة تافيلالت بسجل ماسه⁽⁴⁾ ، لذلك

(1) السعديون: ينتمي السعديون إلى النسب النبوي الشريف، وكان خصومهم يطعنون في انتسابهم إلى حليلة السعدية ويقولون أنهم من بني سعد بن بكر بن هوازن، ولم يزلوا منذ قدموا إلى المغرب من ينبوع النخل مقيمين بدرعه إلى إن استولى البرتغاليون على بعض المراكز الساحلية بإقليم السوس للمزيد انظر عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج1 الرباط 1968، ص133 .

(2) وقد نظم عمود نسبهم العلامة عبد السلام القادري في ابیات من الرجز فقال:

أبو ملوكنا الشريف بن علي	محمد علي يوسف علي
علي الشريف ثم الحسن	محمد حسن المستوطن
فقاسم محمد بالقاسم	محمد الحسن ذو المكارم
فعابد الله أبو محمد	فعرفة محسن ذو السؤدد
ثم أبو بكر علي فحسن	احمد إسماعيل قاسم ومن
محمد المهدي فعبد الله	فالحسان فرسول الله

للمزيد عن تاريخ العلويين ومجيئهم إلى المغرب انظر : أبو القاسم الزياني ، البستان الطريف في دولة أولاد مولاي الشريف، الرباط ، ص ص 29-35 .

(3) صلاح العقاد، المغرب في بداية العصور الحديثة، القاهرة، 1963، ص122.

(4) احمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى، ج4، القاهرة، 1954، ص ص 2-5.

كانت هذه الأسرة تعرف أحيانا بالفلالية نسبة إلى تافيلالت بالجنوب الشرقي واشتهرت باسم العلوية نظراً للنسب الشريف⁽¹⁾ .

وأشهر هؤلاء الشرفاء في النصف الأول من القرن السابع عشر الشريف ابن علي الملقب بابي الأملاك فكان رجلاً وجيهاً يقصده الناس في الملمات ويستشفون به في الأزمات، ويهرعون إليه في الجليل والحقير من الأمور ، وقد اصطدم مع أبي حصون السملالي⁽²⁾ ، انتهى الأمر بمبايعة محمد بن الشريف في سجل ماسه سنة 1640⁽³⁾ بعد ان أطلق سراح أبيه، الذي اعتقل من السملالي⁽⁴⁾ واجه محمد بن الشريف مهمة توسيع إمارته ولكنه اصطدم بالقوى المحلية ، واصطدم بأخيه الرشيد الذي رفض مبايعته بعد وفاة والده عام 1659، وحسم النزاع بين الطرفين بمقتل محمد بن الشريف عام 1665 ومبايعة الرشيد⁽⁵⁾ دخلت الدولة العلوية في عهده مرحلة حاسمة عندما تمكن من دخول فأس سنة 1666 ومبايعته سلطاناً⁽⁶⁾ وبسط نفوذه على أجزاء واسعة من المغرب، حاول الرشيد الحد من نفوذ الطرق الصوفية، فحل الزاوية الدلائية⁽⁷⁾ سنة 1668 و نقل أهل

(1) صلاح العقاد، المغرب العربي - الجزائر - تونس - المغرب الأقصى، دراسة في تاريخه الحديث وأحواله المعاصرة، ط3، القاهرة، 1969، ص 69 .

(2) ابي حسون السملالي : الذي استولى على بلاد السوس سنة 1613 ثم مد نفوذه على سجل ماسه سنة 1631 وقبض على الشريف بن علي ونقله إلى السوس ووضعه في إحدى قلاعها: للمزيد من التفاصيل انظر عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب ، ص 137 .

(3) محمد الفاسي، وحي البيئة، الدار البيضاء، 1970، ص 29.

(4) للتفصيل عن حملات محمد بن الشريف علي انظر: الهاشمي الفيلاي، دروس في تاريخ المغرب، ط2، الدار البيضاء 1958، ص 178 - 179 .

(5) محمد بن الطيب القادري، النقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبير من أخبار واعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، بيروت 1983، ص ص 164 - 165 .

(6) للمزيد عن عهد الرشيد، انظر: الناصري، المصدر السابق، ص ص 16 - 20 .

(7) أسس هذه الزاوية أبو بكر بن محمد الفحاطي في أوائل عصر السعديين وهو ليس من أهل الدلاء وإنما سكن بينهم ، للمزيد من الاطلاع انظر: محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الرباط، 1964، ص 138 ؛ محمد بن عبد السلام ابن عبود، تاريخ المغرب، ج2، تطوان، 1957، ص ص 42 - 44.

الدلاء خارج فأس⁽¹⁾ ، والواقع إن حياة الرشيد لم تطل كثيراً بعد دخوله فأس، وقتل في حديقته حين اصطدم بأفرع بعض الأشجار وهو يسير بسرعة ممتطياً ظهر جواده فترك الحكم لأخيه السلطان إسماعيل⁽²⁾.

تولى السلطان إسماعيل (1672 - 1737) العرش بعد ان كان خليفة لأخيه الرشيد في مكناس، وقد واجه مشكلات داخلية معقدة، تمثلت باستمرار التحركات القبلية ضد نظام حكمه، ومنافسة الأمراء العلويين للاستيلاء على السلطة⁽³⁾ وقد قضى السلطان إسماعيل سنوات حكمه الأولى في القضاء على النزعات الانفصالية⁽⁴⁾ واستعمل الشدة، والى أقصى درجة يمكن تصورها للوصول إلى أهدافه، واعتمد على عدد من أفراد أسرته لحكم قسم من المناطق في المغرب، إلا إن بعضهم لم يكن موالياً له، كابنه محمد العالم بسوس، الذي ثار على أبيه، وانتهى أمره بقطع يده ورجله في سنة 1694، الأمر الذي دفع السلطان إلى تجريد أبنائه من مناصبهم⁽⁵⁾ . لذلك استند السلطان إسماعيل إلى جيش ثابت ومنظم يدين لشخصه بالولاء واختار لتكوين هذا الجيش العبيد الأفريقين، فحررهم ومنحهم القطاعات وأصبح يعرف بجيش عبيد البخاري⁽⁶⁾ .

(1) إحسان حقي، المغرب العربي، بيروت ، 1975 ، ص 120 .

(2) جلال يحيى، تاريخ المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، ج3، بيروت، 1981، ص66.

(3) للمزيد من الاطلاع عن عصر السلطان إسماعيل انظر: محمد بن الطيب القادري، المرجع السابق، ص ص 190 - 194 .

(4) صلاح العقاد ، المغرب العربي ، ص 69.

(5) عباس بن ابراهيم المراكشي، الإعلام بمن حل بمراكش واغامت من الإعلام، ج5، فاس، 1938، ص ص 15 - 16.

(6) كون هذا الجيش من بقايا العبيد الذين اتى بهم المنصور الذهبي من السودان إلى المغرب وسماهم عبيد البخاري لأنه لما نظمهم واجمعهم اخرج إليهم كتاباً صحيح البخاري وقال لهم: انا وانتم ندافع عن السنة النبوية التي جمعها الإمام البخاري في هذا الكتاب، محمد بن عبد السلام بن عيود، المصدر السابق، ص 54.

صلاح العقاد، المغرب العربي بين التضامن الإسلامي والاستعمار الفرنسي، القاهرة، ب.د. ، ص ص 50 - 51 .

بعد تحقيق انتصاراته الواسعة في الداخل، وقضائه على اغلب الحركات المعادية، توجه السلطان إسماعيل لتحقيق الجانب الآخر من المهمة، التي قامت على أساسها الدولة العلوية إلا وهي تحرير الموانئ المغربية المحتلة من لدن الدول الأوربية⁽¹⁾ فاسترد من الأسبان والإنكليز موانئ : المهدية سنة 1681، وطبنجة 1684 والعرائش 1689، وأصيلة 1690 ولكنه فشل في تحرير سبته⁽²⁾ .

حاول إسماعيل توظيف عملية انتصاراته في الداخل لبناء علاقات جيدة مع الدول الأخرى. فتحسنت بموجب ذلك العلاقات المغربية مع كل من بريطانيا وفرنسا، وبلغت حد منح فرنسا امتيازات واسعة في معاهدة عام 1682 التي كانت كسباً لفرنسا التي ازداد تعاملها التجاري مع المغرب مع مرور الزمن، وأصبح على الحكومة المغربية إن توقف كل عمليات الجهاد البحري التي تقع قرب سواحلها⁽³⁾ ولا شك إن هذه المعاهدة التجارية كانت بداية لعهد جديد في تاريخ المغرب، ومع وفاته دخل المغرب في دور الحروب الداخلية وتنازع على السلطة امتد من سنة 1727 حتى سنة 1757 واشتملت على حكم ستة من السلاطين، ولم يخرج المغرب من هذه الحقبة إلا بوصول المولى محمد بن عبد الله الى الحكم سنة 1757⁽⁴⁾ .

وبتولي السلطان محمد بن عبد الله الحكم (1757 - 1792) عاد الاستقرار نسبياً للبلاد، ويعد حكم هذا السلطان صورة مصغرة لعهد السلطان إسماعيل، حاول تجديد

(1) جلال يحيى، المولى إسماعيل، ص ص 97 - 123.

(2) عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص 138 .

(3) للمزيد انظر: عبد الله العمراني: مولاي إسماعيل ابن الشريف، تطوان، 1978، ص ص 155 - 184 ؛ محمد بن داود، تاريخ تطوان، المجلد الأول، تطوان، بلا، ص ص 266 - 270 ؛ عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب - العصر الحديث والفترة المعاصرة، ج2، الدار البيضاء، ص 12 .

(4) جلال يحيى، المغرب الكبير، ص ص 71 - 72 .

العلاقات مع بعض الدول الأوروبية من جهة واستأنف الجهاد ضد الجيوب المسيحية من جهة أخرى⁽¹⁾ وشكل إبرام السلطان لسلسلة من المعاهدات التجارية مع قسم من الدول الأوروبية والولايات المتحدة⁽²⁾، نقطة تراجع في السياسة الخارجية للدولة العلوية، إذ أكدت بنود تلك المعاهدات، حق فتح القنصليات في إرجاء المغرب، ومحاكمة رعايا هذه الدول وفقاً لقوانينها، وإعفاء المستخدمين لدى هؤلاء القناصل من الضرائب، وبذلك وطدت تلك المعاهدات الامتيازات الأجنبية في البلاد⁽³⁾.

امتازت سياسة السلطان محمد باتجاه جديد وهو توثيق الروابط مع الدولة العثمانية والمشرق بصفة عامة فقد تبادل المراسلات والهدايا مع السلاطين، أمثال: مصطفى الثالث وكذلك عبد الحميد الأول (1774 - 1786)⁽⁴⁾، وكانت للسلطان المغربي صلات مع إشراف مكة إذ كان لقوافل الحجاج المغربية اثر كبير في نقل بعض أفكار السلفيين الداعية إلى وجوب العودة إلى الأصول الإسلامية وتخليصها من الشوائب التي علقت بها في المغرب⁽⁵⁾.

توفي السلطان محمد بن عبد الله، بينما كان في طريقه إلى جبل العلم، لمواجهة ابنه يزيد فبويح الأخير خلفا لوالده، فعادت المغرب إلى عهد الاضطرابات الداخلية والتنافس على العرش، فاندلع الصراع على السلطة إذ أعلن هشام اخو السلطان يزيد مبايعة نفسه في نواحي

(1) صلاح العقاد، المغرب في بداية العصور الحديثة، ص 132.

(2) ابرز تلك المعاهدات التجارية: معاهدة 1763 مع السويد ومعاهدة 1767 مع الدانمارك ومعاهدة 1773 مع البرتغال ومعاهدة 1787 مع الولايات المتحدة .

(3) للمزيد من التفاصيل انظر: الوثائق، اصدار مديرية الوثائق الملكية، ج4، الرباط، 1977، ص ص 124 - 126؛ كذلك عبد الوهاب بن منصور، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب منذ نشأتها الى مؤتمر مدريد سنة 1880، الرباط، 1977، ص ص 9 - 17 ؛ راي اردين، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة 1776 - 1816 ، ترجمة إسماعيل العربي، الجزائر، 1978، ص ص 277-279 .

(4) إبراهيم شحاته حسن، تطور العلاقات المغربية العثمانية (1510 - 1947) الاسكندرية، 1981، ص422.

(5) انور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا، القاهرة، 1965، ص 78 .

مراكش وقد قتل السلطان يزيد عام 1792 عندما زحف للقضاء على حركة أخيه هشام⁽¹⁾، ولم يحسم مقتل يزيد ذلك الصراع الدامي على العرش، بل أصبح بين ثلاثة إخوة، هشام في الجنوب، ومسلمة في الشمال وسليمان بفأس⁽²⁾، عالج السلطان سليمان الأمر بحكمة فاتجه أولاً إلى مولاي مسلمة وهو اقرب مناوئيه مكاناً، ففضى على حركته واستتب الأمن في شمال البلاد، وبعد ذلك جعل وجهته الجنوب الذي استنزفته الحروب القائمة بين الأخوين هشام والحسين واستولى في آخر الأمر على مراكش⁽³⁾، سنة 1796. كانت الإحداث الدولية تسير بسرعة مع الثورة الفرنسية، وقيام صراع دولي في القارة الأوربية، وقد اضطر المولى سليمان إلى تحاشي الاصطدام مع الدول الأوربية، فاتخذ موقفاً صريحاً ضد عملية الجهاد البحري، وباع سفنه الحربية إلى بايات الجزائر وتونس، وحرّم على رعاياه التجارة مع الدول المسيحية، وحدد مدينة طنجة مقراً للقنصليات الأجنبية⁽⁴⁾.

ومع أن السلطان سليمان كان بعاصر عهد الثورة الفرنسية ونابليون ألا إن السلطان سليمان لم يستغل وقوع اسبانيا بيد الإمبراطور نابليون لكي يسترد سبته ومليلة، بل دعا لسياسة العزلة⁽⁵⁾، توفي السلطان سليمان عام 1822، وخلفه ابن أخيه عبد الرحمن ابن هشام (1822 - 1859) الذي حاول جمع ما تبقى من الجيش والأسطول، والاهتمام بالوضع الاقتصادي المتدهور⁽⁶⁾. وأعاد الأمن والاستقرار وحاول الوقوف أمام الإطماع الفرنسية والأسبانية، إذ احتلت فرنسا الجزائر عام 1830 وأرادت إن توسع نفوذها باتجاه مراكش⁽⁷⁾.

(1) محمد بن عبود، مركز الأجانب في مراكش، القاهرة، 1950، ص ص 28 - 29 .

(2) عبد العزيز بن عبد الله، المصدر السابق، ص ص 45 - 50 .

(3) شارل اندريه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 2 ، ترجمة محمد مزالي البشير بن سلامة، تونس 1978، ص 314.

(4) جلال يحيى، المغرب الكبير، ص 76.

(5) محمد بن عبود، تاريخ المغرب، ص ص 34 - 35.

(6) نفسه، ص 35.

(7) مراكش: اسم المدينة التي اسسها يوسف بن تاشفين في جنوب المغرب سنة 1093م، واتخذها المرابطون والموحدون عاصمة لهم وقد أصبح الاسم يطلق على عاصمة المغرب، ومن مراكش اشتق الأوربيون اسم البلاد وعليه أصبحت

بحجة مطاردة الأمير عبد القادر الجزائري وجدت الحكومة المغربية نفسها معنية بالإحداث الجديدة، لاسيما إن الوطنيين الجزائريين نظروا إلى السلطان المغربي على انه القائد المؤهل لتزعم حركة الجهاد، وعلى هذا الأساس طلب الوطنيون وأهالي مدينة تلمسان⁽¹⁾ حماية للسلطان .

قاد الأمير عبد القادر المقاومة الجزائرية المنظمة في وهران، وحقق الكثير من الانتصارات قبل اضطراره للالتجاء إلى المغرب عام 1843 مثل وجود الأمير عبد القادر في الأراضي المغربية مصدر تهديد للقوات الفرنسية في الجزائر⁽²⁾.

وهكذا أخذت فرنسا تخلق المبررات لمهاجمة المغرب، للقضاء على الأمير عبد القادر أولاً، وتحقيق جانب من إطماعها ثانياً⁽³⁾. فقامت القوات الفرنسية باحتلال منطقة للمغنية ، إذ أعقبه مهاجمة القبائل المغربية المركز الفرنسي في هذه المنطقة، الأمر الذي عدته فرنسا انتهاكاً⁽⁴⁾. استغلت فرنسا هذا الحادث، فقدمت إنذاراً إلى المغرب في 12 حزيران عام 1844، إلا إن السلطان عبد الرحمن رفض الإنذار، عندها قامت القوات الفرنسية باحتلال وجدة وقصفت سفنها الحربية ميناء طنجة، وقد أثارت الأعمال الفرنسية الشعب المغربي، فتصاعد الاستياء الشعبي وتحشد القبائل، مما اضطر السلطان عبد الرحمن إلى إرسال ابنه

تعرف عند البريطانيين Morocco وعند الفرنسيين Maroc والأسبان Marunes والألمان Marokke للمزيد انظر احمد زرقانه، المغرب العربي، القاهرة، ب.ت، ص 1 - 4 ؛ محمد الفاسي، التعريف بالمغرب، القاهرة 1961، ص 6 - 9 ؛ وحسن صبحي، التنافس الاستعماري الأوربي في المغرب (1884 - 1904) الإسكندرية 1965، ص 2 - 3 .

⁽¹⁾ تلمسان: عندما احتلت اسبانيا مدينة تلمسان عام 1543، طلب الأهالي المدينة من المغرب التدخل، وبعد إخلائها سارع المغاربة لاحتلالها مما أدى إلى غضب العثمانيين وانتهت المشكلة بإعادة الاحتلال العثماني للمدينة عام 1550 للمزيد انظر: يسرى ألجواهري، شمال إفريقيا دراسة في الجغرافية التاريخية والإقليمية، الإسكندرية 1976، ص 131 - 134 .

⁽²⁾ امين سعيد، الدولة العربية المتحدة، ج2، القاهرة بلا، ص ص 195 - 196 .

⁽³⁾ نفسه ، ص 196 .

⁽²⁾ . (42 - 43) C. V. Usbrne, The Conguest of Morocco, London, 1936, pp.

محمد على رأس جيش إلى وجدة، فجرت المعركة الحاسمة بين الجيشين المغربي والفرنسي عند وادي ايسلي، في الرابع عشر من آب عام 1844، ومع التفوق العددي للجيش المغربي، انتهى القتال في اليوم نفسه بهزيمة قاسية للجيش المغربي⁽¹⁾.

اجبر السلطان عبد الرحمن بن هشام بعد هذه الهزيمة على طلب الصلح، وتم الاستجابة للطلب بسرعة من لدن الفرنسيين، مثلت هزيمة الجيش المغربي صدمةً عنيفةً للشعب المغربي إذ أدرك الكثير منهم مدى تخلف أنظمتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية أمام التقدم الأوربي، لهذا فان محاولات الإصلاح قد ظهرت بعد تلك الهزيمة والتنازلات التي أعقبتها⁽²⁾.

كانت مدة حكم السلطان الحسن الأول التي ناهزت عشرين سنة محاولةً مستميتةً لإصلاح أخطاء قسم منها يعود إلى أكثر من قرن قبل توليه الحكم⁽³⁾ وبعضها حدث من عهد السلطان سليمان والذي عد عهده بداية لانعزال المغرب عن العالم بل أنها أصبحت بعدئذ فريسة سهلة للمستعمرين، دفعت سلاطينه للسعي في وضع حد لحالة التداعي، فبدؤ في إصلاح الأوضاع العامة⁽⁴⁾ إلا إن المغاربة في مقدمتهم رجال الحكومة انقسموا على أنفسهم، فقسم رأى بضرورة الإصلاح على وفق المناهج الأوربية، والقسم الآخر عارض ذلك حيث عدّ إتباع الأساليب الحديثة في الحكم خراباً للبلد، وسقوطاً في براثن القوى الأجنبية⁽⁵⁾.

إن وجود هذا الانقسام لم يرق إلى مستوى تشكيل الأحزاب السياسية بالمعنى المتعارف عليه، إلا إن التغيرات التي حصلت في الساحة المغربية، محلياً ودولياً، قد أنهت

(1) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ص 70 - 71.

(2) C. V. Usbrne, op.cit, P.p. 43 - 44.

(3) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، الدار البيضاء، 1985، ص 287.

(4) جلال يحيى، المرجع السابق، ص 76 - 77.

(5) منسي شرموط محمد المسلط، مولاي الحسن ومحاولة الإصلاح (1873 - 1894) مجلة الأستاذ، العدد (46 -

2002)، ص 366.

هذا الانقسام في الرأي، إما المحلية فترجع إلى تولي الحكم في المغرب المولى محمد بن عبد الرحمن (1859 - 1873) في حين ترجع الظروف الدولية إلى هزيمة المغرب في معركة تطوان عام 1860 إمام اسبانيا وما لها من دلالات بينت مدى ضعف القوات المسلحة المغربية، وبما إن السلطان محمد بن عبد الرحمن كان رجلاً طموحاً ولا تنقصه الرغبة في إصلاح شأن بلاده، لذا تبلورت آراؤه الإصلاحية في شكل برنامج سياسي شامل⁽¹⁾، ولكن واجهته عقبات صعب عليه تجاوزها، كالمعاهدات التي عقدت بين المغرب والدول الأجنبية التي منحت هذه الدول امتيازات واسعة على حساب المغرب وسيادته، وتأتي في مقدمتها السماح للدول المعنية لمنح حمايتها لعدد من المغاربة التي هي بحاجة لخدماتهم⁽²⁾.

إلا إن الأجانب تعسفوا في استعمال هذا الحق حتى أصبحت الحكومة المغربية أسيرة في قراراتها لموافقات الدول صاحبة الامتياز، وأخيراً اضطر السلطان محمد الرابع إلى وقف سياسته الإصلاحية على الرغم من حاجة بلده لها، ومما زاد من سوء الوضع، الأزمة الاقتصادية التي مرت بها البلاد للمدة (1867 - 1869) دفعتها للتخلي نهائياً عن التفكير بالإصلاح إلى إن تهيئة ظروف سياسية واقتصادية مطلع السبعينيات ساعدت على إحيائها من جديد⁽³⁾.

(1) جلال يحيى ، المرجع السابق ، ص ص 403 - 404.

(2) كانت فرنسا من أول الدول الأوروبية عقداً للمعاهدات مع سلاطين المغرب الأقصى، حيث عقدت في عام 1767م والتي فتحت باب التدخل الأجنبي في شؤون المغرب للمزيد انظر:

صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ص 132 - 133.

(1) يرجع تحسن الظروف إلى تدهور وضع اسبانيا في المغرب بعد حدوث ثورة فيها عام 1868 انعكس سلباً على موقعها المتميز الذي حصلت عليه عام 1860 وكذلك هزيمة فرنسا إمام بروسيا في حرب السبعين وكانت الدولتان اشد دولتين معارضتين للاصطلاح فهذه الأحداث فسحت المجال أمام بريطانيا في إن تصبح هي الدولة صاحبة المكانة

فعاد موضوع الإصلاح إلى تفكير المخزن⁽¹⁾ ولكن وفاة السلطان محمد الرابع في الحادي عشر من أيلول عام 1873 حالت من دون التنفيذ إلى إن تولى حسن الأول العرش بعد أبيه، ابدى استعداداً واسعاً للسير في طريق الإصلاح لاطلاعه الواسع على الأوضاع المتردية في بلاده ومدى حاجتها للإصلاح بحكم ممارسة السلطة الفعلية منذ عهد والده، وكانت لأفكار القنصل البريطاني في طبنجة السير جون دارموند هاي Jhon Drumandhay ، حضور واضح في إجراءات الحسن للعلاقة الوطيدة التي كانت تربطه به ، وحرص السلطان الحسن الأول على هذه العلاقة بقوله ((لا تمنعوا عنا نصائحكم ولا آراءكم التي يمكن إن تكون مفيدةً ذلك إننا على اقتناع تام بإخلاص صداقتكم))⁽²⁾ وكانت السياسة البريطانية تدفع السلطان بحماس كبير نحو الإصلاحات في المغرب لأنها وان أرادت المحافظة على الوضع الراهن في المغرب إلا أنها تريد لها سلطة مركزية قوية للسلطان تساعد على فرض سلطته على رعاياه وتعيينه للحد من التوغل الأجنبي في بلاده، لان زيادة ذلك التوغل يكون على حساب المصالح البريطانية الواسعة في منطقة مهمة وإستراتيجية في العالم لقربها من قاعدة جبل طارق ولكن الحسن كانت لديه مسوغات تحبط من عزائمه منها المتمرديات على سلطته واعتراض عدد من أعيان البلاد على كل شيء جديد يتعارض مع

الأولى وبدون منافس في المغرب لذا كان هاي يشجع باستمرار سلطان المغرب على المضي في مباشرة سياسته الاصطلاحية، جلال يحيى، المغرب الكبير ، ص ص 410 - 411.

⁽²⁾ وهو مصطلح تاريخي اقترن بالأصل بيت مال الدولة ثم اتسع مدلولها فصارت تعني الدولة كلها ، والحكومة والإدارة في تاريخ نظام المغرب ومع إن المخزن أصبح في القرن العشرين يعني الحكومة الشريفة . للمزيد انظر نعمة السعيد المغرب العربي استعراض للمعالم الحضارية لأقطار المغرب العربي ، بغداد 1979 ، ص 77-79

⁽³⁾ نقلاً عن : ب . ج روجرز، تاريخ العلاقات الانكليزية - المغربية حتى عام 1900، ترجمة يونان لبيب رزق، الدار البيضاء، 1981، ص ص 239 - 240 .

مصالحهم الخاصة، إلا إن السير حذر السلطان من مغبة التردد لأنه يشجع الدول الأوربية على التدخل في شؤون بلاده ويعرض عرشه للخطر⁽¹⁾.

في هذه الظروف العصيبة تولى السلطان الحسن الأول الذي لم يرث خزينة فارغة فحسب، بل ورث دينها الثقيل الذي كان تسديده يكلفه نصف مدا خيل الكمارك المغربية لمدة تزيد عن عشر سنوات لفائدة الأسبان فضلاً عن الدين ظل يسدده للانكليز حتى عام 1881، علاوة على ذلك تبني السلطان قسم من المشاريع التي تحتاج إلى مزيد من النفقات والتي بدأها والده، وأولها إنشاء جيش حديث، إذ إن جهود والده في هذا لم تكن كافية⁽²⁾.

فقد عمل على إنشاء فرق عسكرية حديثة على النمط الأوربي واهتم بتكوينها وتدريبها فأرسل بعثات مغربية للدراسة في المعاهد الأوربية للتدريب على الطرائق والمعدات العسكرية الحديثة بغية الاعتماد عليها في تكوين وتدريب الجيش المغربي، ومده بمختلف الأسلحة، وأقام تحصينات عسكرية ببعض المراسي⁽³⁾، ومن أجل تحقيق كل هذه المشاريع الطموحة تحمل المخزن أثقل النفقات وقد شكوا السلطان الحسن إلى ممثله بطبنجة محمد بركاش قلة المداخيل وضخامة النفقات فقال ((إن المخزن اليوم واجب إن يعان ولا يحفاك ما نخرجه كل شهر من مشاهرات الانكليز والاسبانيول والآلات الجهادية والبناء لها)) .

لكن السلطان الحسن ورث إلى جانب هذا وذاك رعية قد أنهكتها الضرائب، وبلغت الحال درجة اضطر معها السلطان إن يبدأ عهده في فاس باستعمال السلاح لإرغام بعض الحرفين على أداء المكوس، بعد إن وقفوا بيعتهم له على حذفها⁽⁴⁾.

(1) نفسه، ص ص 240 - 241 .

(2) نعيمة هراج التوازني، الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن الأول، الرباط 1979، ص 38.

(3) نفسه، ص ص 38 - 39.

(4) نعيمة هراج التوازني، المرجع السابق ص 39 .

وازداد وضع الدولة والسكان تأزماً لما تعرض المغرب لازمة اقتصادية جديدة ابتدأت أوائل عام 1877 حيث لم تبلغ المحاصيل الزراعية مستواها العادي وارتفعت الأسعار، ثم اشتدت الأزمة سنة 1878 التي عرفت جفافاً تاماً، فهلكت المواشي وأصابت المجاعة فئات السكان الفقيرة واجتاحت الأوبئة البلاد، وكل ما كان بمستطاع السلطان الحسن وإمام هذا الوضع المزري هو إن يفكر في حلول لمعالجة الأوضاع المتخلفة التي كانت تعاني منها أجهزة الدولة المختلفة⁽¹⁾ .

(1) انفسه ، ص ص 39 - 40 .

الفصل الثاني : خير الدين التونسي وإصلاحاته

المبحث الاول : خير الدين باشا (1238-1308 هـ/1820-1890)

المبحث الثاني : إصلاحات خير الدين التونسي

المبحث الاول : خير الدين باشا (1238-1308 هـ / 1820-1890)

1. المولد والنشأة :

هو خير الدين باشا التونسي ، وزير مؤرخ ، من رجال الإصلاح الإسلامية ⁽¹⁾ ولد عام 1810م في القوقاز ⁽²⁾ ، أصله من قبيلة أباضه الجركسية ⁽³⁾ الضاربة بجبال الجركسي في الشمال الغربي من بلاد القوقاز بمنطقة نهر الكوبان ، فقد أياه مبكرا على إثر خلاف بين فريقين ⁽⁴⁾ ، وقد تم خلال إحدى تلك الجولات التي جرت بين فريقين متنافسين من الأطفال ، فصل الصبي خير الدين بقساوة عن أقرانه ، إذا اختطفته عصابة مسلحة من الفرسان وبعد رحلة شاقة عبر الأرياف المقفرة في شمال الاناضول وصل خير الدين إلي إسطنبول الي أحد الأتراك الإشراف ⁽⁵⁾ ، عقل فرائ نفسه الأستانة في أسرة غير أسرته في بيت تحسين بك نقيب الأشراف ، ليست سيدة البيت له أم ، ولا تحسين بك أبا ، و لا أبناء البيت أخوة ، وإنما يسمع همسا انه عبدا مملوكا على معنى الغامض ، لم يفهمها أولا أين ولد ، ولا أين أسرته ، وكيف أتى إلي هذا البيت ؟ ⁽⁶⁾.

(1) خير الدين الزركلي ، الإعلام الأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين ، ج2 ، ط15 ، دار

العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ايار مايو 2002م ، ص327

(2) ألبرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة (1798-1939م) ، كريم عزقول ، دار النهار للنشر ، بيروت ،

لبنان ، ص 109

(3) الشراكسة (الجركسية) الدين ينحدر منهم "خير الدين " و هم قوم شجعان اذكاء ، وقد امتازوا عبر تاريخهم

بحنكتهم السياسية و العسكرية ، وهي الحنكة التي أهلتهم لتسلم سدة الحم في مصر مثلما أهلته عددا منهم و على

وجه التجديد "خير الدين " للعب ادوار بارزة على أصعدة مختلفة سياسية ، عسكرية ، إدارية ... انظر : سمير

ابو حمدان ، أبو النهضة التونسية خير الدين التونسي ، ص16

(4) محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين ، ج2 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1982م ، ص

271.

(5) الصادق الزمر لي ، أعلام تونسيون ، تق و تح : حمادي الساحلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان

، 1986م ، ص71.

(6) احمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ص146.

اختار تحسين بك ليكون رفيق في الدراسة واللعب لابنه الوحيد البالغ نفس السن ، ومنذ أول وهلة تعاطف الطفلين وتفاهما مع بعضهما البعض ، وأصبح اعتبار من ذلك الحين يعيشان في وئام واطمئنان ، تحت رعاية مربي حازم ملازم لهما كظلهما يصاحبهما خارج وقت الدراسة الي أي مكان يسوقهما إليه فضولهما شديد في العاصمة التركية الفسيحة الإرجاء حيث يهيئ لهما كل حي من أحياءها مفاجئة جديدة⁽¹⁾ و قد اشرف تحسين بك على تعليمه في المنزل ، وعاش في اسطنبول حتى سن سابع عشر من عمره⁽²⁾ وبعد مرور عدة سنوات أصيب ابن الشريف التركي بمرض عضال الذي فتك به قبل الأوان ، مما اضطر وهو مفتت القلب الي تقريط فيه لأحد الأعيان التونسيين⁽³⁾، ونظر فرأى تحسين بك يوما يعرضه على رجل يفحصه ، كما تفحص السلعة و يصعد فيه نظره ويصوب ويختار من قوقه الي قدمه حيث بيع كما يباع الرقيق وتناقلته الأيادي بالبيع والشراء الرقيق إلى وصل الي قصر حاكم تونس الباي أحمد باشا فتعلم القراءة والكتاب ، وفرائض الدين ، وفنون العسكرية والسياسية والتاريخية وأجاد العربية والتركية والفرنسية⁽⁴⁾.

2) حياته في قصر حاكم تونس الباي أحمد باشا :

ولما كان قد ظهرت بوادر الفطن والذكاء على خير الدين في سن مبكرة فقد أمر بتعليمه وتنقيفه ليكون في أحد الأيام واحدا من مستشاريه ومن المقربين اليه⁽⁵⁾

3) مساره في العلم و التعلم : لكن العلم الذي شرع خير الدين بالاستزادة منه لا نستطيع أن نضيفه في باب العلم وانما شيء أبعد ما يكون عن ذلك ، فالتقليل من الآيات

(1) الصادق الزمرلي ، المرجع السابق ، ص 98

(2) محمد محفوظ ، المرجع السابق ، ص 271

(3) الصادق الزمرلي ، المرجع السابق ، ص 98

(4) صلاح زكي احمد ، المرجع السابق ، ص 30

(5) سمير أبو حمدان ، خير الدين التونسي ، موسوعة عصر النهضة ، دار الكتاب العالمي ، بيروت ، لبنان

1413هـ ، 1993م ، ص 25

القرآنية خفضا وتجويدا والقليل الإتقان اللغة والقليل من القراءة والكتابة إن ذلك مجموعا إلى بعضه البعض يصبح كافيا لان يوسم صاحبه بسيمة العالم والفقيه والمتأدب ولكن خير الدين ، بما عرف عنه توق إلي معرفة الشاملة ورحبة ، أكب على القراءة أمات الكتب في التاريخ والعلوم والفلسفة وكل ما استطاعت يده أن تمتد إليها في مكتبة الباي ، ومما يؤتن على ذكر فبهذا المجال أن الباي كان قد ورث عن أسلافه مكتبة ضخمة ضمت مجموعة نادرة من المخطوطات القديمة ومن الكتب ذات الاختصاصات المتعددة ، راح الباي أحمد باشا ، منذ تسليمه الحكم في عام 1837م ، يرفد مكتبة القصر كل جديد ، كما أنه الوكلاء إلي سائر الأنحاء التونسية لجميع المخطوطات الموزعة هنا هناك وخاصة بها في الجوامع والمساجد ، من أجل جمع شملها في مكان واحد خوفا من التلف والضياع ⁽¹⁾. وهكذا فقد أمكن لهذا الباي جمع أكثر من ألفي مخطوط نادر في الأدب والطب والسياسة والتاريخ والدين والفقه والعلم ضمها كلها إلى مكتبة القصر ، ولم يكتفي الباي أحمد بعملية الجمع بل لجاء الي استخدام عدد من الورقين من أجل ترميم الكتب التالفة وتجديدها ، اضافة إلى تحصين الكتب التي كانت لا تزال سليمة ⁽²⁾. وإن هذه المكتبة العامرة التي تفتحت عين خير الدين عليها ولدت لديه ميلا قويا القراءة والمعرفة ، فما كان ينتهي من كتاب حتى يضع بين يديه كتابا آخر ،كل ذلك والباي يشجعه ويأخذ بيده ويحضنه على مجالسة أهل العلم والرأي ،وما هي إلا سنوات قليلة حتى كان خير

الدين يجيد العربية والتركية والفرنسية قراءة وكتابة ومحادثة ⁽³⁾.

(1) سمير ابو حمدان ، خير الدين التونسي ، موسوعة عصر النهضة ، دار الكتاب العالمي ، بيروت ، لبنان

1413هـ ، 1993م ، ص26

(2) نفسه،ص26

(3) سمير ابو حمدان ، المرجع السابق ، ص 26-27

(3) مساره في الجيش :

إذا كان الباي في أربعينات القرن الماضي يتجه نحو تحديث المؤسسات في تونس ، ذهب الي حد الاستعانة بفرنسا على الرغم من أن هذه الخطوة كان لها تأثير سيئ على الرغم من أن هذه الخطوة كان لها تأثير سيء على علاقته بالسلطنة ، وفقد أرسل طالبا بعثة علمية لتطوير الجيش ، وكان أن لبت فرنسا لا أرسلت بعثة من الضباط الفرنسيون برئاسة الكومندان كامبينون ، وهو شخصية عسكرية مرموقة ، انتهزها خير الدين فرصة للالتحاق بالجيش وبلواء الفرسان تحديدا حيث ركزت البعثة اهتمامها ،وبرز خير الدين فرصة للالتحاق بالجيش وبلواء الفرسان في الجيش تحديدا حيث ركزت البعثة اهتمامها ، برز خير الدين في الأعمال الفروسية فكان مقادما ،شجاعا ، سريعا البديهة ، الأمر الذي أهله بعد حين قليل لان يرأس واحدة من فرق الفرسان في الجيش التونسي ، حتى إذا ما يرهن عن أهليته ، واستعداده للقيادة رقي إلي رتبة أمير للواء الفرسان ، وذلك عام 1849 والجدير بالذكر أن للواء الفرسان ، وذلك عام 1849 والجدير بالذكر أن للواء الفرسان كان في ذلك الوقت ، اللواء الأكثر نشاطا وفعالية بين ألوية الجيش التونسي ، وهنا أيضا برز كقائد قد يتمك، إلي جانب ثقافته العسكرية ، ثقافة علمية وأدبية وسياسية وتاريخية مرموقة⁽¹⁾ . لكن الأقدار لعبت وشاءت أن يكون لخير الدين دور سياسي بارز ، وكان ذلك نتيجة ألمعيته ، وقوة شخصيته ، وثقافته وغير أن ثمة شيئا آخر أدى إلي سلخه عن عالم العسكر وأمور الحرب ودفع به نحو عالم السياسة⁽²⁾.

(4) مساره الوظيفي : فالأوضاع في تونس كانت نتيجة نحو مزيد من التدهور السياسي والاقتصادي ، وكان ذلك بسبب الفساد المستشري في أوساط الحكم وخاصة في بلاد الباي

(1) سمير ابو حمدان ، المرجع السابق ،ص27

(2) خير الدين الزركلي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 328

أحمد الذي كان بالرغم من استنارته ومليه إلي التغير والتحديث ، شخصية غير قادرة على مواجهة التحديات التي كانت تتعرض لها تونس ⁽¹⁾، وهذا الأهم على مواجهة أولئك الذين عاثوا فساد في البلاد ودفعوا بها إلي حافة الإفلاس ⁽²⁾، وعلى رأس هؤلاء وزير العمالة (المادية الداخلية) مصطفى الخازندار ويده اليمنى محمودين عباد ، أما ابن عباد كان مسؤول عن جمع الضرائب وعن عقد الاتفاقات لشراء ماتحتاجه الدولة ¹، وما يحتاجه الباي ، بحيث تمكن من جمع مبالغ طائلة تقدر بالملايين لحسابه وحساب شريكه ولقد قام بتهريب أمواله وأموال شريكه الخازندار الذي بقي بالرغم من ذلك وزير في الدولة ، أما وجهة التهريب فكانت فرنسا ، ولم تم لابن عباد ما أراده وخطط له لكانت الحكومة التونسية قد أعلنت إفلاسا حقيقيا ، منيت بفصل ذريع بفصل الحنكة السياسية والدبلوماسية التي تميز بها خير الدين التونسي ⁽³⁾. إذن لقد استعان الباي بخير الدين في مخاصمة ابن عباد و تسفيه دعواه أمام المحاكم الفرنسية ، فأوفده إلى باريس وفي يده صلاحيات واسعة ⁽⁴⁾، وعلى مدى ثلاث سنوات متواصلة قضاها خير الدين في باريس مدافعا و مرافعا أمام المحاكم الفرنسية اكتسب خبرة واسعة في القوانين وفي سير الحاكم، وأخيرا ألحق بهزيمة نكراء بخصمه ابن عباد حيث قضت المحاكم ، ذلك بعد إن شكلت لجنة برئاسة نابليون الثالث ، بأن تدفع الحكومة التونسية لابن عيادة ، وذلك بعد إن تحصل على الجنسية الفرنسية و أصبح مواطنا فرنسيا ، أربعة ملايين قرش ، لكنها قضت في الوقت نفسه بأن يدفع لها 28 مليون قرش ، وبذلك يكون خير الدين قد حقق ربحا للحكومة التونسية مقداره 24 مليون قرش تونسي ⁽⁵⁾

(1) سمير ابو حمدان ، المرجع السابق ، ص 28

(2) الصادق الزمرلي ، المرجع السابق ، ص 99

(3) نفسه ، ص 29

(4) الصادق الزمرلي ، المرجع السابق ، ص 98

(5) صلاح زكي احمد ، المرجع السابق ، ص 31

أحرز خير الدين في القيام بتلك المهمة نجاحا كان منتظرا، حتى تحصل بفضل ما قدمه من حجج دامغة على تمكين الدولة التونسية من استرداد جزء لا يستهان به من الأموال التي سلبت منها و عند وفاة احمد باي في السنة الموالية 1855م ابن عمه محمد الياي الملك الجديد إن يعرب عن رضاه فعينه وزيرا للحربية بعد ان انعم عليه برتبة فريق (1)

شرع منذ عودته إلى تونس في طرح مقولات الإصلاح على النسق الأوروبي، ولعل أول مالا حظه هو إن الحكم الاستبدادي ، الحكم الذي يتولاه فرد واحد سوءا كان عادلا أو غير عادل ، لهو الأساس المكين لتفشي الفساد و ترسيخ قدم التخلف و الانحطاط (2)

وفي أزمة من أزماته مع الباي محمد الصادق 1859-1882م اعتزل خير الدين جميع مناصبه لعدة سنوات 1862-1869م واعتكف في بستان له ،كما اعتزل خلدون من قبل في إحدى قلاع تونس فكتب مقدمته.

اعتزل خير الدين في بستانه فكتب كتابه ، ((أقوام المسالك في معرفة أمور الممالك))،الذي طبع في مقدمته خلاصة آرائه في التمدن و الإصلاح تماما مثلما فعل ابن خلدون في مقدمته ، وكان عمره آنذاك لا يتجاوز خمسة و أربعين عاما (3).

وعلى اثر صدور كتابه عاد إلى شؤون الحكم في تونس حتى أصبح الحاكم الفعلي للبلاد سنة 1873م ولمدة أربع سنوات ثم عينه السلطان عبد الحميد الثاني الذي قراء كتابه صدرا أعظم في الأستانة عام 1878م ، ولكنه لم يبق في هذا المركز إلا شهورا شهدت على الأخص تدخله لخلع الخديوي إسماعيل عن كرسي الخديوية في مصر (4).

(1) سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ،ص26

(2) نفسه ،ص 28

(3) صلاح زكي احمد ، المرجع السابق ، ص 30

(4) نفسه ،ص 31

4) وفاته:

ولقد توفي خير الدين بالأستانة سنة (1307م-1889م) عن سبعة و سبعون عاما⁽¹⁾، ودفن في "جامع أيوب"، وخلف تاريخا في الإصلاح حافلا، وكفاحا للفساد طويلا، و ذنبه انه لم يجد مواتيا من الشعب، ولا مؤزر من السلطان⁽²⁾. لقد كان مصلحا اجتماعيا ، و سياسيا من جنس مدحت باشا ، غير ان الفرق بينهما ، كالفرق بين السيد جمال الدين و الشيخ محمد عبده ، فمدحت يصلح ، فان عجز عن الإصلاح ثار و دبر انقلاب ، و خير الدين يصلح ، و إن عجز عن الإصلاح رفع يديه إلى السماء و قال ((اللهم إني قد بلغت))⁽³⁾.

و كانت فضائله التي تكون شخصيته الجرأة في قول الحق و عماله في غير الخوف ، و صلاحيته فيما يعتقد هـ من غير انحناء و حرية في تفكيره من غير جمود ، و قوة كواوله على حمل الأعباء من غير تذمر⁽⁴⁾ . فهو إذن رجل عرق مجد الحكم و وصل إلى أعلى مناصب الإدارة الإسلامية و السياسية ، و مع ذلك فانه لا يذكر اليوم إلا بكتابه المذكور ، وعلى الأخص بمقدمته التي وضع فيها خلاصة آرائه و تجاربه في الحكم و من خلال زيارته المتعاقبة لأوروبا على حين إن بقية الكتاب ماهو إلا تاريخ لدول أوروبا و الدولة العثمانية⁽⁵⁾ .

(1) صلاح زكي احمد ، المرجع السابق ، ص 31

(2) احمد أمين ، المرجع السابق ، ص183

(3) نفسه ، ص 183

(4) نفسه ، ص183

(5) صلاح زكي احمد ، المرجع السابق ، ص 31

المبحث الثاني: الإصلاحات في تونس خير الدين التونسي

1_ الإصلاحات السياسية :

1.1 تنظيم الجهاز الحكومي :

لقد أراد خير الدين بأن يكون لمجلس الشورى صلاحيات واسعة على أصعيد مختلفة ، وخاصة على صعيد سن القوانين و مراقبة تنفيذ مما ، بالإضافة إلى تقليص صلاحيات والحاكم الفرد المنزه ⁽¹⁾، غير إن طموح خير الدين الهادف إلى إدخال تونس في العصر النهضة ، وإخراجها من أجواء القرون الوسطى ، اصطدام بأكثر من عقبة ⁽²⁾.

فمجلس الشورى حد كثيرا من سلطات الوالي ووزيره الخازندار فأراد إن يكون المجلس غطاء للمشاريع و الممارسات التي تتناقض و مصلحة البلاد العليا ، على حين كان خير الدين يريد عكس ذلك تماما ، إي إن يأخذ على عاتقه مراقبة هذه الممارسات و المشاريع و الكشف عنها ⁽³⁾. وكان أن ألب الباي محمد باشا و ويزه الخازندار عددا كبيرا من أعضاء المجلس الموالين لهما للوقوف في وجه رئيسه خير الدين، كما ألب من جهة أخرى رجال الدين الذين تولوا الطعن بالقوانين الصادرة عن المجلس الشورى لكونها تتناقض مع الشريعة الإسلامية ⁽⁴⁾. وبحسب أحمد أمين فإن مجلس الشورى اصطدم بطائفتين لهما خطرهما : فرجال الدين لم يرضوا عنه لأن بعض أحكام القانون سياسية لا شرعية ، لأن القانون يقضي بالحكم بالأغلبية، وقد ترى الأغلبية ما لا يرضى الدين، أصحاب السلطان وعلى رأسهم الوالي مصطفى خازندار لم يرضوا عنه في باطن نفوسهم لأنه يسلبهم سلطانهم ⁽⁵⁾.

(1) سمير ابوعمدان ، المرجع السابق ،ص34

(2) نفسه ،ص35

(3) نفسه ،ص35

(4) احمد امين ، المرجع السابق ،ص146

(5) نفسه،ص146

ويضيق احمد أمين ((أراد خير الدين إن يكون السلطان الحق للمجلس ، و أراد إن يكون المجلس ستارا شرعيا لتصرفهما وأداة طبيعية لتنفيذ إغراضهما ، أرادته حقيقة و اراداة لعبة أراد من كل عضو إن يقول ما يعتقد في صدق و إخلاص و جرأة ، و أراد من كل عضو إن يتحسس رأيهما فيعبر عنه ... فكان النزاع و كان الخصام))⁽¹⁾.

وكان إن وقع الخصام الحقيقي و تفرق الشمل في إحدى جلسات مجلس الشورى المخصصة لمناقشة مشروع كبير يقضي بمد أنابيب تصل مياه زغوان بقرطاجة ⁽²⁾، و كانت فرنسا تطمح بان يرسو تنفيذ الشروع عليها ،لكن خير الدين و معه عدد من أعضاء المجلس المواطنين المعارضين للتغلغل الفرنسي في البلاد طالبوا بان تتولى مسألة التنفيذ الحكومة التونسية بنفسها الأمر الذي أدى إلى اشتداد الضغط في المجلس و الخوض في الجدل حاد ، وكان الباي حاضرا الجلسة فضرب على المنضد أمامه ، و بعد إن ساد السكون وجه كلامه إلى الأعضاء قائلا : (لقد وعدت قنصل فرنسا وعدا قاطعا بالموافقة على المشروع) فما كان من خير الدين إلا إن انتفض و قال (...فلم جمعتنا إذن لتأخذ رأينا ، و كان يكفي سماع هذا الخبر من سيادتكم) ⁽³⁾.

إن هذه الحادثة ، بالإضافة إلى ظروف أخرى أحاطت بنشاطات مجلس الشورى و بينها إن فرنسا كانت تقف ضد أي عملية إصلاحية في الجزائر و تونس ⁽⁴⁾ .

1.2 تنظيم الجهاز القضائي :

لقد صرف حيزا كبيرا من اهتمامه إلى إصلاح القضاء ،تنظيما و قوانين و تشريعات ، فهو رأى إن تونس تشهد بلبلّة على صعيد القانون ، بل وجد إن ليس فيها قانون أو تشريع

(1) احمد امين ، المرجع السابق ،ص 156

(2) نفسه ، ص 156

(3) سمير ابو حمدان ، المرجع السابق ، ص 36

(4) نفسه ، ص نفسه ،ص36

واحد يثق بيه الجميع ، فالقوانين على المذهب المالكي حينا وعلى المذهب الحنفي حينا آخر (1)، و الحادثة الواحدة ربما صدر فيها حكمان مختلفان ، إضافة إلى هذا كله فان الأجانب الموجدين فوق التراب التونسي لم يكونوا يتقيدون بأي قانون لا لشيء إلا لأن مثل هذا القانون لم يكن موجودا (2) . و على هذا فان خير الدين التونسي عين لجنة من خبراء القانون الحديث يضاف إليهم أناس متضلعون في شريعة الإسلامية من اجل الخروج بالقوانين تتناسب مع ما هو سائد في تونس (3). غير إن اللجنة المذكورة لم تنجز ما طلب منها في خلال الفترة التي حددها لها خير الدين ، بل انه خرج من الحكم قبل إن تنجز شيئا ، و ذلك نتيجة التعقيدات الجمة التي واجهت أعضائها على هذا الصعيد (4).

2_ الإصلاحات الاقتصادية :

1.2 القطاع الزراعي :

إما في القطاع الزراعي فحدث انتعاش ملحوظ إذ انه حض على استثمار الأرض ، و زرعها ، و غرسها بأنواع معينة من الأشجار المثمرة وخاصة النخيل و الزيتون ، اصدر قانونا ينص على إن زراعة هذا النوعين معفاة من الضرائب على مدى عشرين عاما (5) . ومما يذكر في هذا المجال إن الأراضي المزروعة بلغت مساحتها يوم ترك خير الدين الحكم مليون هكتار على حين كانت مساحتها عند تسلمه لا تتجاوز الستين ألف هكتار (6) .

2.2_ القطاع الصناعي :

(1) سمير ابو حمدان ، المرجع السابق ، ص44

(2) نفسه ، ص45

(3) نفسه ، ص46

(4) نفسه ، ص46

(5) خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ص 328

(6) سمير ابو حمدان ، المرجع السابق ، ص34

إحياء الحرف و الصناعات الصغيرة التي كانت في طريقها إلى الانقراض .و إنشائه مصنعا بخاريا لبناء السفن و إصلاحها ⁽¹⁾، وجد في إحياء الصناعات المغربية كالنقش على الخص و القباب ، و كان يأتي بمهرة الصناع من البلاد ، و يعهد إليهم بتعليم طائفة من الشبان ⁽²⁾.

2.3 القطاع التجاري:

واتجه خير الدين إلى الأوقاف و الأخرى إلى ما تبقى منها ، فنظم عملية شرائها و بيعها و وضع أدرتها في عهدة رجل ثقة هو محمد بيرم والي جانبه مجلس يعاونه من الرجال المشهود لهم بالكفاءة و النزاهة ⁽³⁾.

3 الإصلاحات الاجتماعية و الثقافية :

1.3_القطاع الاجتماعي:

كانت تونس ، في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ،تمر بإحدى اعقد أزمتها ، بل لعلنا لا نبلغ في القول انه لم تواجه عبر تاريخها أزمة اقتصادية تماثل التي واجهتها في ستينات القرن الماضي ، فقد كانت تنئن تحت ثقل الديون التي تراكمت و بلغت مئة و خمسين مليون فرنك فرنسي ⁽⁴⁾ .

(1) سمير ابو حمدان ، المرجع السابق ، ص35

(2) احمد امين ، المرجع السابق ، ص 169

(3) سمير ابو حمدان ، المرجع السابق ، ص46

(4) نفسه، ص38

و أدت هذه أزمة التي نتجت عن فساد بعض الحكام حيناً و عن ضعافهم و ترخيهم إمام
المفسدين في حين آخر ، إلى تفشي المجاعة في أوساط الطبقتين الفقيرة و المتوسطة من
الشعب التونسي⁽¹⁾. و على الرغم من إن هذا الشعب كان بعرف غريمه جيداً و قد تمثل
وقت ذاك بحاكم فاسد و مفسد و هو الوزير الأول مصطفى خازندار ، و بحاكم آخر اتصف
بضعفه و تخاذله هو الباي محمد باشا ، على الرغم من معرفته بكل ذلك فقد وجد نفسه
مشلول الإرادة و غير قادر على النهوض بأي خطوة ترفع عنه التهديد بالمجاعة⁽²⁾. بل إن
الباي محمد باشا الذي كان يدرك جيداً استبداد وزيره الأول و شجعه و امتصاصه دم الشعب
و لقمة خبزه، و لم يحرك ساكناً حيث إن مصطفى خازندار أخضعه لسيطرته و جعله رهينة
مسلوبة الإرادة و أداة طيعة بين يديه ، و على هذا فان مصطفى خازندار
بقي وزيراً أول و بقيت شوكتة مغرورة في ظهور التونسيين و كواهلهم⁽³⁾ .

2.3 القطاع الثقافي: ولقد شملت إصلاحاته نواحي الحياة كافة ، من الصحافة إلى التربية
، و يكفي إن نذكر إن قطاع التعليم أيام خير الدين التونسي شهد نهضة حقيقية حيث إنه
اتجاهها إلى جامع الزيتونة فأصبح التعليم فيه بعد إن كان نسخة طبق الأصل عن التعليم في
الجامع الأزهر .

كما إنه أسس المدرسة الصادقية حديثة في عام 1875م ، درست فيها علوم العصر و
معارفه ، و انشأ مكتبة ضخمة و عامة بعد إن ضم مكتبة الخاصة إليها ، و قد تحوي أكثر
من ألف و مئة كتاب مخطوط .

(1) سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ، ص 38-39

(2) احمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ص 148

(3) نفسه ، ص 149

**الفصل الثالث : السلطان الحسن الأول وإصلاحاته في
المغرب الأقصى**

المبحث الأول : السلطان الحسن الأول

المبحث الثاني: سياسة السلطان الحسن الأول الإصلاحية

المبحث الأول: السلطان الحسن الأول في المغرب الأقصى

1. نسبه وأسرته وولادته

يقول عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية خلال حكم الدولة العلوية⁽¹⁾ .
 إن الأسرة الملكية المغربية تنتمي إلى النسب النبوي الشريف ونسبها من اصح الأنساب
 الشريفة بالمغرب ، والحسن الأول هو أبو علي الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام
 بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف بن علي الشريف بن محمد بن علي بن
 يوسف بن علي الشريف ابن الحسن بن محمد بن حسن الداخل ابن القاسم ابن محمد بن أبي
 القاسم بن محمد بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن احمد بن إسماعيل بن
 القاسم بن محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن
 الإمام علي وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله⁽²⁾ ، ولد عام 1247 هـ (1832) حسبما
 وجد ذلك مقيداً بخط قاضي الجماعة العلامة الثبت أبي العباس احمد بن طالب بن سوده
 .⁽³⁾

2. نشأته

نشأ الحسن الأول نشأة حسنة في حجر جده السلطان عبد الرحمن بن هشام ، وكان
 له اهتمام زائد وعناية بتأديبه وتهذيبه وكان يحبه محبة شديدة ، ويختار لتعليمه خيرة الأساتذة
 وفضلاء الإعلام ، ولما شب وظهرت منه مخيلة النجابة والفلاح ووجهه للقراءة ببلاد احمر

⁽¹⁾ العلويون ينتمون إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وكانت تعرف هذه الأسرة أحيانا بالفلالية نسبة إلى واحة تقيلات ،
 جنوب شرق مراكش التي استقروا فيها أول الأمر ؛ للمزيد انظر : أمين الريحاني ، المغرب الأقصى ، بيروت 1975
 ، ص 302 .

⁽²⁾ محمد العلمي ، محمد بن يوسف أو تاريخ استقلال المغرب ، الرباط ، 1975 ، ص 13 ؛ عبد الرحمن بن زيدان ، ا
 تحالف إعلام الناس ، بجمال أخبار حاضرة مكناس ، ج 2 ، الرباط 1930 ، ص 105 .

⁽³⁾ عبد الرحمن بن زيدان ، الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفأس الزاهرة ، المطبعة الاقتصادية ، الرباط ، 1937 ،
 ص 97 .

الشهير بأطراف مراكش إبعاداً له عن الانشغال عن ووجهه للقراءة ببلاد احمر الشهير بأطراف مراكش أبعاداً له عن الانشغال عن تحصيل العلوم بظهير أصدره السلطان عبد الرحمن لولده المولى محمد (1). وهذا نصه : " الحمد لله وحده ... عبد الرحمن بن هشام الله وليه ، ولدنا الإبر الأرضي سيدي محمد أصلحك الله ورضي عنك ... وبعد فأن سيدي حسن أصلحه الله أراد القراءة ولم نجد فقيهاً فقد عرضنا ذلك على كل من هنا من طلبة مراكش فلم يرد احد الذهاب لاحمر وكتبنا بذلك لعلك لم تجد من يقبل ولا حول ولا قوة الا بالله فإنه ظهرت فيه قريحة بالقراءة لأمهمات المختصر وغيره فلا بد انظر وابحث عسى ان تجد من يصلح لذلك ما دام الغصن رطباً فأن تعلم الصغر كالنقش في الحجر " (2) .

لقد درج ملوك الدولة العلوية وأمرائها على اختيار رجال الثقافة والعلم لتربية أبنائهم فكانوا يكلفون بالحصص الأولى من آي الذكر الحكيم المهرة فيه وفي تجويده ورسمه رغبة أن يلقنوه تلقيناً جيداً وغضاً طرياً ، لهذا كان أبناء الأسرة المالكة منذ تربعها على عرش المغرب وطوال أربعة قرون وهي تسير في ضوء هذا النهج الدراسي الحي مترسمة في منهجيته طريقة علمية لها جدواها المنتج حسب المستوى الذي يوجد عليه أطفال الأسرة (3) ، وكثيراً ما كانت هذه المدارس تؤسس إزاء قصورهم رغبة الاتصال وهكذا نرى السلطان عبد الرحمن ابن هشام يرسل الحسن الأول إلى دار خاله الوزير الصدر الأعظم العربي الجمعي،

(1) عبد الرحمن بن زيدان ، اتحاف إعلام الناس ، ج2 ، ص105 .

خير الدين الزركلي ، الاعلام قاموس لاشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين ، ج2، د.ت ، ص ص 236-237.

دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرون ، المجلد السابع ، مراجعة وزارة المعارف العمومية ، بلا ، ص405 .

(2) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ص105-106 .

(3) عبد الله الجارري ، عناية ملوك الدولة العلوية بتنقيف أبنائها ، مجلة الإرشاد ، المغرب ، العدد (3-1975) ، ص ص 38-39 .

ليطلع على ما لم يطلع عليه غيره من أفراد دار العائلة المالكة المقصورين على المكث بالدار العلوية (1) .

ومن اعتنائه به أن ضمَّ إليه جماعة من كبراء السن من المطلعين على سير الملوك الذين أدركوا عصرهم وأمرهم بأن يحدثونه بما شاهدوه وحفظوه من ذلك ، فكانوا يجدون منه الرغبة القوية في الاطلاع على ما عندهم من الإخبار زيادة على ما كانت تتوق إليه نفسه من تحصيل العلوم الدينية والأدبية والرياضية ، والاجتهاد في لقاء من له مهارة في العلوم ولاسيما أساتذة العلوم الرياضية وجمع المؤلفات وسائر الفنون حتى خصص له جماعة من خيرة العلماء والمدرسين (2) .

ثم لما توفي جده وبويع والده ازدادت عنايته بيه ومثابرتة على تعليمه ما يستحق به إن يكون أول أبنائه بولاية عهده وحرصاً من والده على أن تكون تنشئته بعيدة عن جو البلاط وحياة المراسم ، فاختر له أن يتلقى تعليمه الثانوي والعالي على يد كبار العلماء في بلاد حمر بأطراف مراكش (3) ، وبرهن الحسن منذ المراحل الأولى من شبابه عن نبوغ كبير إذ اقبل على تحصيل كثير من العلوم (4) .

(1) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ص 106 .

(2) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ص 106 ؛

محمد التهامي الوكيل ، جلالة السلطان مولاي الحسن الأول ، مجلة دعوة الحق ، المغرب ، العدد (337-1983) ، ص 95 .

(3) عبد الرحمن القباح السلطان الحسن الأول ، مجلة الإرشاد المغربية ، العدد الأول السنة الثانية عشر ، آذار عام 1980 ، ص 37-38 .

(4) محمد التهامي الوكيل ، المرجع السابق ، ص 95-96 .

3. أخوته وأخواته :

كان للسلطان الحسن الكثير من الإخوة والأخوات ، وهم السيدة ام كلثوم والسيدة سكينه والسيدة آمنة فضلاً عن السلطان الحسن أمهم السيدة فاطمة الجامعي وأبيهم السلطان محمد بن عبد الرحمن .

إما إسماعيل وأبو الغيث وإدريس وعلي وفضيلة وعائشة أمهم ميمونة الشاوية عثمان واحمد ورشيد وصفية أمهم زهراء .

والمولى الصديق والمأمون أمهم الشريفة بنت المأمون بن السلطان محمد بن عبد الله المولى الحسن الصغير وفاطمة وجمانة أمهم هنية .

وإبراهيم وحليمة وربيعة وأمهم الزهراء .

والحسين والعباس أمهم أم ولد وعبد العزيز وصفية أمهم هنية الشلحة .

وعبد القادر وأمهم أم ولد . وأبو النصر أمهم أم الخير .

والمولى عرفة أمهم غزالة ، ومحمد وأبو بكر وجعفر المهدي و الطاهر والطيب وعبد السلام أمهم طيبة (1) .

4. خلافته وزواجه :

من مزايا السلطان الحسن انه هبئاً لمنصب المسؤول الأول في الدولة في أثناء قيامه بالخلافة عن والده في منطقة مراكش الشاسعة (2) . إذ اسند له والده منصب الخلافة

(1) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 572 .

(2) ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص256 .

السلطانية في مراكش ونواحيها عندما على مبارحة هذه المدينة والتوجه للنواحي الغربية وقيل انه برهن بذلك على كفايته وحسن تدبيره (1) .

ويذكر الناصري : لما استخلف السلطان محمد المولى الحسن الأول لم تشغله شؤون الخلافة في أثناء الليل وأطراف النهار ولا في قصوره السلطانية من الحقائق والإزهار (2).

وقد تمتع الحسن الأول بامتيازات كبيرة إذ كان يقوم بتعيين الولاة وعزلهم في منطقة نفوذه كما كان يستقبل القناصل الأجانب ، وكان له جيشه وحرسه الخاص إذ ولاه والده قيادة الجيش في عهده (3) أما زواجه وأولاده ، فقد تزوج الحسن الأول من ابنة عمه زينب بنت المولى العباس ، وأنجبت له من الذكور محمد وزين العابدين ومن البنات للا أمينة وعبد الحفيظ وشقيقه أبا بكر وللا حبيبة ، أمهم العالية بنت صالح بن الغازي .

أما إسماعيل وشقيقته للا خديجة فأمهما الشريفة هنية بنت احمد بن زيدان . ومصطفى ونزهة ، أمهما أما الغيث بنت الأامين بن عبد الرحمن بن هشام . والكبير وللا شريفة أمهما ميمونة .

وعبد العزيز ومحمد المهدي أمهما المولاة رقية التركية (4) .

ويوسف وزينب أمهما المولاة آمنة . المأمون أمه المولاة الياسمين صرغنية.

(1) محمد التهامي الوكيل ، المرجع السابق ، ص 96 .

(2) إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 265-363

(3) الناصري ، المصدر السابق ، ص 128 .

للا رقية ، كانت بالاصل جارية شركسية ، ثم أصبحت الزوجة المفضلة للسلطان الحسن الأول ، وقد وصفت بأنها كانت على قدر كبير من الجمال والذكاء وقوة الشخصية مما مكنها من القيام بدور هام وتأثير واسع على السلطان حسن الاول ، للمزيد انظر : مجلة الهلال المصرية ، العدد (1) تشرين الأول عام 1911 ، ص 23 .

(4) حسن صبحي ، التنافس الاستعماري ، ص 151 .

- وعثمان وربيعة وأمهما طويمو . جعفر وأمه المولاة عويشة .
- و بلغيث وأسماء وأمهما المولاة زهراء بو زكري .
- ولبابه وملكية ، وأمهما المولاة حسن الملك تركية .
- والمولى موسى وأخته مولى الأمين وأمهما طوايمو اليدموى .
- والمولى العباس وسكينة أمهما المولاة كنزه .
- والمولى إدريس وأمه جينة ، السيدة حفصة وأمهما المولاة أم هاني .
- والطيب وأمه المولاة مائدة الشركسية .
- وعلي وأمه المولاة جمصة . وعبد الله والحسن أمهما المولاة فتح الزهر
- وحفصة وأم هاني وأمهما المولاة عبلة . سعدية أمها المولاة زهرة الشمظية.
- أم كلثوم أمها المولاة الدامي عبدية . كنزة أمها المولاة عبدية .
- فخيتة أمها المولاة لبيبة التركية . والبتول وعائشة وفاطمة الزهراء أمها المولاة الصنهاوية
- الشلحة . صفية وجمالة أمهما المولاة فتح الزهر الصغيرة .
- وفضيلة أمها بحر زين مولاة- زهور أمها المولاة نظرار التركية .
- وفاطمة اكبر الاولاد والبنات أمها المولاة زهرة الشظمية ، مريم عتكة أمها المولاة فتح الزهر
- عبد الكامل ، السيدة ستي أمها المولاة خديمة التركية ⁽¹⁾ .

(1) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ص548.

5. صفاته وأخلاقه

افاض المؤرخون المغاربة بالثناء على السلطان الحسن الأول ، فأكدوا على وطنيته وتمسكه الشديد بأهداب الإسلام وما إلى ذلك من صفات ونظراً لأن أكثر هؤلاء المؤرخين كانوا يكتبون على وفق ما درج عليه كتبة التاريخ في المغرب ذكر محاسن سلاطينهم ، وسوف لن نتطرق إلى ما كتبوه وسنكتفي هنا ببعض ما قاله فيه من شخصيات غير مغربية ، كان لها اتصال به .

ويقول عنه وزير فرنسا المفوض في طنجة وبينني (1) :

" إن الوسائل التي يتبعها السلطان الحسن تختلف باختلاف الظروف ولكنه يتبع الهدف بلا ملل ومثابرة نادرة الوجود عند أي شرقي " (2) .

ويقول (Aflalo) وكان من رجال الأعمال البريطانيين الذين عاشوا في المغرب وخبروا الأمور به اعن كذب " مولاي الحسن لم يكن له نظير في الحكام المغاربة في سعة العقل والتتور . وقد خدم بلاده جيداً وكان غيوراً على رفاهيتها " (3).

(1) أوبيني : وهو وزير فرنسا المفوض في طنجة أرسلته فرنسا في بعثة إلى فاس منتهزة فرصة فشل البعثة البريطانية برئاسة سير شارلز ايفان سميث لتشجيع السلطان الحسن وجعله يشعر بان فرنسا تقف إلى جانبه دائماً ومنعه من تجديد المفاوضات مع البريطانيين وجذب احسن العناصر الممكنة التي حول السلطان إلى جانب المصالح الفرنسية والحصول على اتفاقية جديدة مع فرنسا وحمل السلطان على الاعتقاد بأن ما تفعله فرنسا من تأمين النظام في جنوب الممتلكات الجزائرية لا يمس وحدة المغرب او نفوذ السلطان الديني هناك ، للمزيد انظر : حسن صبحي ، التنافس الاستعماري ، ص125 .

(2) نقلاً عن حسن صبحي ، المرجع السابق ، ص150 ، هامش رقم (1) .

Pierre Guellen : I, Allemagne et le Maroc, p. 315

(3) نقلاً عن حسن صبحي ، التنافس الاستعماري ، ص150

وكتب الوزير المفوض الألماني بعد وفاة السلطان الحسن تقريراً بين فيه تقديره له " انه مجرد إن يتم تغيير السلطان في وقت قصير للغاية من دون اضطرابات تذكر ، يبرهن بوضوح إن حكم السلطان الحسن حقق ثماراً ثمينة . لقد كان الحسن يسعى من دون هوادة وراء فكرة كبيرة : إن يجعل من مختلف العناصر في سلطته كلاً سياسياً . ونجح في إن يجعل السكان الذين يكونوا حتى ذلك الوقت يعدونه سوى زعيم ديني نجح في جعلهم يعدونه أيضاً زعيمهم السياسي ، يلتفون حوله كي يقوا أنفسهم شر الوقوع تحت حماية أوربية ، هذه هي الفكرة الموجهة لهذا العاهل العظيم " (1) .

إما جورج هاري ، وهو من غلاة الاستعماريين الفرنسيين فيقول ان الفضل يرجع إلى مولاي الحسن في حفظ استقلال المغرب إلى نهاية القرن التاسع عشر ، ومن المؤكد انه قد عمل على توطيد نفوذ دولة في الداخل وحاول قدر جهده استرجاع البلاد لهيبتها في نظر الدول الاحبية . وذلك لم ينجح إلا في كسب الاحترام والإجلال لشخصه فحسب اما بلاده فلم تلق سوى العنت والاحتقار من جانب الغرب ، ولكنه بذكائه ومثابرته قد نجح على اية حال في حفظ استقلال بلاده إلى حين (2) .

6. بدايات نشاط الحسن الأول الإدارية ، قبل توليه السلطة :

في حياة والده ولاء قيادة الجيش ، وعقد له راية من الصناديد للجيش مكنتهم التجارب وتربوا على الكر والفر ، فأُسند إليه والده فيما بعد كثيراً من المأموريات والتي برهن في انجازها عن حنكة عميقة ودهاء حاد وشجاعة نادرة لاستتباب الأمن وإقرار الهدوء والنظام في مختلف ربوع المغرب .

(1) A. Cour, the Encyclopaedia of Islam. Vol3, P. 275.

(2) نقلاً عن محمد خير فارس ، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر ، جامعة دمشق 2002-2003 ، ص 428 ، .

وتعلقت أولى هذه المأموريات بالحملة التي أشرف فيها على رأس الجيش لإخماد الفتن التي اجتاحت جبال نتيلة وقبائل السراغنة وبني مسكين في عام 1862 ، فقام بعمله أتمّ القيام فأصلح ما كان اختل من النظام وبث روح الطاعة والخضوع بسطوة المخزن في قلوب تلك القبائل المارد ، الشاردة ، وبرهن صدق فراسة والده فيه (1) .

وفي سنة 1864 قام الحسن بحملة مماثلة لاستتباب الأمن في قبائل سوس الأقصى ، ورافقه في حملته هذه العلامة أبا الحسن علي المسغيوي والنحوي محمد ابن عزوز الرباطي والفقير الكاتب محمد بن داني فلما بلغ أقصى السوس استطاع إن ينزل العقاب بمثيري القلاقل والفتن ، وعاقب قبائلها التي مضى عليها زمن طويل وهي متمردة على طاعة الأمراء والسلطين ، فظهر الحسن من السياسة والدهاء واللياقة ما سر والده إلى إثارة بولاية عهده (2) . فاسند والده منصب الخلافة السلطانية في مراكش ونواحيها عندما عزم السلطان محمد على مبارحة هذه المدينة والتوجه إلى الناحية الغربية لتفقد أحوال رعيته ، وبرهن الحسن الأول في هذه المأمورية عن كفايته وحسن تدبيره (3) .

وكان الحسن في حملته إلى بلاد السوس قد بلغ وادي ماسة بل جاوزه ثم عاد لباقي بلاد السوس مثل شتوكة وهوارة ورأس الوادي واستخلص واجب بيت المال المترتب في ذممهم (4) .

(1) عبد الرحمن بن زيدان ، المصدر السابق ، ص 107

(2) محمد التهامي الوكيل ، المرجع السابق ، ص ص 96-97 .

(3) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ص 108 .

(4) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ص 108 .

ثم ولى وجهه إلى مراكش مرّ في طريقه على عمه المولى عبد القادر الذي كان مخيماً بوادي القهيرة لاستخلاص ما ترتب بدمهم ودويران وسكاوة ومنتيفة ومتوكة وأولاد أبي السباع (1) .

ولما وصل إرجاء بلاد مراكش أمر ولده الجيوش والأعيان للخروج لملاقاته وكان يوم دخوله من الايام المعهودة وكانت مدة غيبته في هذه الحركة عشرة أيام (2) .

فلما استخلفه والده بالعاصمة المراكشية عرض عامل حاجة عن خلافة الأمير الحسن وصرح بأنه لا دخول له تحت ولاية وخلافة الحسن ، وتمردت عليه ايلاته ومدت يد النهب والتخريب إلى داره حتى اضطر إلى الاستجداء بالأمير الحسن فانجده حتى افلت وقدم على السلطان محمد بفأس وجعل يلوم الأمير وان ما حل به هو بتدبير الحسن الأول (3) .

كان باشا مراكش احمد بن داود لم يبال بخلافة الأمير الحسن وخرج عن خلافته ، فخرج عليه اهل مراكش وهمّوا بقتله ونهب داره ونصبوا احد أولاد أبي عامر بمحله فقام الأمير الحسن بنصرته ، فكتب ابن داود إلى السلطان محمد الرابع بما يقتضي إغراء الأمير الحسن لأهل مراكش على ما فعلوه ، فقابل وشايتته بالرد وفند زعمه وبرأ ساحة ولده الحسن من تلك الكذبة ، وخرج السلطان من فأس إلى مراكش مصمماً على تأديب أهلها ، واخذ ثار العامل منهم ، ولما حلّ بمراكش عزم على تنفيذ ما هم به لهم ف وقعت شفاعة الحسن فيهم فقبلها على استثناء أفراد ممن قاموا بتلك الثورة (4) .

(1) محمد التهامي الوكيل ، المرجع السابق ، ص ص 97-98 .

(2) عبد الرحمن القباح ، المرجع السابق ، ص 38 .

(3) نفسه ، ص 111-112 .

(4) محمد التهامي الوكيل ، المرجع السابق ، ص 97 .

37-38 .

وبعد مدة قصيرة خرج الأمير الحسن إلى بلاد السوس ليستوفي ما ترتب على أهلها من الأموال واستوز له الفقيه ابا عبد الله محمد المفضل غريط الذي صار صدرًا أعظم في عهد السلطان عبد العزيز بن الحسن (1) .

عام 1866 قام بناءً على تعليمات والده بحملة جديدة لبلاد تادلة وجوارها قبيلة الشاوية إذ استطاع الأمير الحسن في استتباب الأمن بهذه القبائل وعمل على تنظيم شؤونها وحسن أحوالها ، كما قام أيضا بإلقاء القبض على القائد احمد الفكاك احد قواد الشاوية لسوء سيرته وولى مكانه القائد محمد بن العربي المعروف ، ولم يزل الأمير الحسن مقيماً بدار الفكاك حتى لحق به والده (2) .

ولما عاد السلطان محمد الرابع إلى مراكش في عام 1868 وانتهى من مقابلة الوفود المهنئة بسلامة القدوم أمر جميع القادمين على حضرته من العمال والقبائل والأعيان والرعية بالإقامة لحضور وليمة عرس ابنه وخليفته الحسن على الشريفة لّلا زينب بنت المولى العباس ، ثم قام لذلك الأفراح والولائم أضيفت فيها أنواع إكرام الضيافة على سائر الطبقات ووسع فيها على الأرمال والأيتام والضعفاء .

عام 1869 أمره والده بالتوجه على رأس حملة جديدة لتأديب تادلاو الشاوية وسار بها إلى أن خيم بالمحل المذكور أو المشهور بصخرة الدجاجة ، وبعد استيفاء الغرض المقصود من حملته وتوطيد الأمن بتلك الجهات ، أمره والده بالمسير واللاحق به بالمحل المعروف بطالع كرماط ، ولما لحقت جنوده بجنود والده فقصّ عليه جميع ما راج في حملته

(1) محمد الوكيل التهامي ، المرجع السابق ، ص 97 .

(2) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ص 110-111 .

، وبعد ذلك امره بالتوجه إلى مراكش فسمع الأمير وأطاع وأمر والده وسار ونزل الجيشان على رأس الغابة بين قبائل زعير وأولاد محمد من الشاوية (1) .

وفي السنة نفسها ثارت فتنة بين أهل مراكش على عاملهم أبي العباس بن داود واجتمع الأعيان والعلماء وأهل المروءة والفضل للمفاوضة في كيفية التوصل لتسكين الفتنة ثم توجهوا جميعهم لأبواب القصر السلطاني للاستشارة من بالمنشية من العمال لغيبة السلطان محمد الرابع وخليفته الأمير الحسن فاتفق رأيهم على التزام العامل بن داود بإلزام داره وعدم العودة للمداخلة بشيء إلى أن يقدم السلطان محمد الرابع (2) .

وقد استطاع الأمير الحسن من تأديب من يستحق التأديب وسعى في الأرض الفساد مثل بني محمد وبني زمور ثم نهض الأمير بدار ولد راضي ثم للوادي المعروف بالزم ثم لعين القصب تادلة بابي جصد ، وخيم هناك نحو 15 يوماً ، ثم رحل إلى قصبة تادلة ثم الزيدانية ثم لبني موسى ثم لوادي راي ثم دار بو ذكري العميري فدار القائد الفرداني بني موسى ثم لوادي العبيد فالدشرة فتاستاوت (3) . والسراغنة فتملات فزاوية ابن سامي ووادي تنسيف ، وهناك خرج أهل مراكش وأهل زواياهم وطوائفهم في طلب العفو من الأمير ، وفي عام 1873 وجهه والده لقبائل حاجة لخروجهم على عاملهم ، ولم يزل الأمير الحسن يعالج أمرهم طبقاً لما تقتضيه الظروف فأحمد الفتن ونشر الأمن (4) .

(1) محمد التهامي الوكيل ، المرجع السابق ، ص 97-98 .

(2) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع ، ص 112-113 .

(3) محمد الوكيل التهامي ، المرجع السابق ، ص 97 .

(4) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ص 122-123 .

وفي السنة نفسها 1873 مرض السلطان محمد الرابع مرضاً شديداً فدخل عليه حاجبه موسى بن احمد (1) . ولما توفي السلطان محمد استحضر الحاجب أخاه العلاف الكبير السيد عبد الله بن احمد والخليفة محمد الجامعي والوزير الصدر إدريس بو عشرين والسيد عبد السلام البقالي ، واخبرهم بوفاة السلطان محمد فوقع اتفاقهم على جميع كبراء الأعيان من الشرفاء والقواد في مبايعة من يقوم بأمر المسلمين (2) .

7. بيعته :-

لما توفي السلطان محمد بن عبد الرحمن اجتمع أهل الحلّ والعقد من كبار الدولة وقواد الجيش والقضاة والعلماء والإشراف واعيان مراكز وإطرافها على بيعة نجله الأمير أبي علي حسن بن محمد لما توافر فيه من شروط الخلافة ، وما اتصف به من الفضل والدين والشجاعة ، ولأن والده كان استخلفه في حياته وألقى عليه بجميع مهماته (3) .

قال الناصري : لما استخلف المولى الحسن لم تشغله شؤون الخلافة المترادفة آناء الليل وإطراف النهار ولا في قصوره السلطانية من الحدائق والإزهار ، عن وظائف الدين وأسباب اليقين من نوافل الخير من صلاة وصيام وتلاوة ، فلما توفي السلطان محمد كان المولى الحسن غائبا عن الحضرة بابي رقي من بلاد حاجة فكتب اليه عمه المولى العباس (4) ، يعلمه بوفاة والده وانعقاد البيعة له ، وكتب له بذلك بقية الرؤساء والأعيان معزين ومهنئين ، وفيما يلي بعض من جواب الحسن الأول لعمه العباس " .. عمنا الأغر مولانا

(1) موسى بن احمد مبارك السوسي ، استحجبه السلطان محمد بن عبد الرحمن ثم فوض له مباشرة الأمور واستوزره السلطان الحسن فدعي بالوزير الحاجب ، توفي عام 1879 في مراكش ، للمزيد انظر : عبد الرحمن بن زيدان ، العز والصولة في معالم نظم الدولة، الجزء الاول، القاهرة 1961 ، ص 59 .

(2) محمد التهامي الوكيل ، المرجع السابق ، ص 98-99 ؛

(3) عبد الرحمن بن زيدان ، اتحاف إعلام الناس ، ج2، ص 124 .

(4) الناصري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 128 .

العباس بن عبد الرحمن .. وافانا كتاب عمنا معزياً لنا في سيدنا الوالد .. فو الله فقد عظم علينا المصاب .. وفي سبيل الله و انا لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .. " (1) .

وقد جزع الحسن جزعاً شديداً لما بلغه نعي والده ، ولما اتصلت به الرسائل الحاملة لذلك النبأ المحزن احضر وزيره آنذاك أبا عبد الله غريط وأطلعته على تلك الرسائل ، ثم احضر المسئول عن حماية القصر إدريس بن الغلام أمره بجمع كبار قادة الجيش ، أمر الوزير بقراءتها عليهم ، ولما قرئت عليهم أسفوا لموت السلطان محمد الرابع وابتهجوا بتتصيب الحسن وأعلنوا بيعته وأطلقت بالمحلة طلقات المدفعية (2)،. فقدم إلى مراكش في يوم السبت 13 أيلول عام 1873 ولما قرب منها خرج للقاءه الوزراء والقضاة والإشراف والأعيان وسائر أهل مراكش برجالها ونسائها واخذوا يعزونه ويهنئونه ، ولما استقر بدار الملك قدمت إليه الوفود من جميع الأمصار وكل وفد يأتي ببيعته وهديته (3). كذلك بويع له في طبنجة ونواحيها ، ووجهت الرسائل لتطوان معلمين لهم بوقوع البيعة والأمر بالدخول في بيعة السلطان في كتاب من محمد بركاش لموسى بن احمد الحاجب السلطاني ، وبويع له كذلك في فأس ومكناس ونواحيها ، لما تم أمر البيعة واطمأنت النفوس قام متجولاً في البلاد والنظر في أحول الرعية وتوطيد الأمن (4).

(1) محمد التهامي الوكيل ، المرجع السابق ، ص ص 97-98 ؛ عبدا لعزیز بن عبد الله ، تاريخ المغرب ، ج2 ، ص67

(2) الناصري ، المصدر السابق ، ج9 ، ص ص 128-129 .

(3) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ص 130 ؛ للمزيد من المعلومات عن بيعة السلطان الحسن الاول انظر : عبد الرحمن بن زيدان ، العز والصولة ، ص ص 8-27 .

(4) عبد الرحمن بن زيدان ، اتحاف اعلام الناس ، ج2 ، ص 125 .

8/ حملات السلطان الحسن ضد القبائل المتمردة :

الحملة الأولى من مراكش إلى مكناس وفأس عام 1873 خرج السلطان الحسن الأول من مراكش قاصداً فأس للوقوف على أحوال الناس والنظر بما يصلحها ، فمرّ على بلاد السراغنة وخرج منها إلى البروج ومنها كيسر من بلاد تامسنا فاتصل به هناك خبر فتنة أهل فأس وإيقاعهم بالأمين محمد بن المدني بنيس (1) .

إذ طالب أهل فأس ولا سيما الدباغون برفع المكوس عن الأبواب فتكفل العلماء والأعيان بذلك حالما يصل السلطان إلى فأس ، ولما تمت البيعة ، عندها جاء الأمين محمد بنيس لقبض المترتب من بيع الجلد فثار الدباغون عليه فهموا بقلته واجبروه على مغادرة منزله والاعتصام بإحدى حمامات المدينة القديمة ، وقد تمكن السلطان الحسن من إخماد هذه الفتنة وإقرار الحالة الأمنية بالمدينة والاقتصاص من مثيري الاضطرابات وأعاد المدني بنيس إلى منصبه (2) . وكان الشروع في هذه الحملة يوم الاثنين 26 تشرين الأول/ أكتوبر عام 1873 ، وقد زار خلال هذه الرحلة أو الحملة التي استغرقت سنة ونصف معظم مدن الشمال المغربي ونواحيها ولا سيما منها مدن الرباط ومكناس وفأس ووجده حيث وفق السلطان في إخماد الكثير من الفتن الاضطرابات ثم عاد إلى مراكش (3) .

(1) الناصري ، المصدر السابق ، ص ص 129-130 ؛

(2) الناصري ، المصدر السابق ، ص 130

(3) محمد التهامي الوكيل ، المرجع السابق ، ص 97 ؛ الناصري ، المصدر السابق ، ص ص 130-131؛

Gavin, Maxwell, Lords of the Atlas, London, 1966, P. 31 .

هذا وبعد إخماد فتنة أهل فأس ، قام السلطان في عام 1874 بإخماد فتنة أبي عزي عبد القادر العامري الشركاوي المدعو بالهبري نسبة إلى بلدته هبري بين أم العساكر ومستغانم وكان ظهوره في أيام السلطان محمد عام 1865 ، ولما بويع الحسن الاول ظهر ثانية في غياثة واجتمعت عليه التسول والبرانس ونوارين وكزنانية وأولاد بريمة وآيت شغروشن وبنو سدن ثم مدينة تازا فدخلها السلطان الحسن وكان عاملها الباشا عبد الرحمن بن الشليح وبعد إن استراح جيشه ، هجم جنوده على أبي عزي الهبري بقيادة القائد منو ، فتم القبض عليه واتي به إلى السلطان الحسن ثم سيق إلى سجن فأس ثم إلى مراكش حيث توفي سجيناً ، إما القبائل التي ناصرت ثورة أبي عزي الهبري فقد ألزمت بأداء الغرامات الكبيرة (1).

حملة الثالثة فقد كانت عام 1875 من فأس ومكناس إلى مراكش إذ خرج السلطان الحسن من الرباط قاصداً مكناس الزيتون حيث اتصل خبر قيام المولى سليمان المدعو الكبير ابن عبد الرحمن الذي جاء من سجل ماسة (2) . يطلب الملك إلى ان كانت عاقبة أمره السجن الطويل ، لما دخل السلطان الحسن بالصفافعة من قبيلة بني حسن بلغه خبر القبض على المولى سليمان بقبيلة بني سادن والتوجه به سجيناً للخليفة السلطاني المولى إسماعيل اخو السلطان الحسن ، ثم بعد ذلك توجه السلطان إلى دار ابن العامري وأوقع بأولاد يحيى والزمهم غرامة كبيرة عقاباً لهم لما اقترفوه بحق عاملهم عبد القادر بن احمد ثم توجه إلى مكناس وممر في طريقه على الزاوية الادريسية الرزهرونية وأقام بها سنة عيد الأضحى وبالع

(1) الناصري ، المصدر السابق ، ص ص 131-133 ؛ وإبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 260 .

(2) سجل ماسة : أسسها الخوارج الصفيرية من بني مدرار عام 757م وكانت قاعدة لبلاد المغرب وقد امتلكها المرابطون ثم الموحدون ضمن وحدة المغرب والصحراء وفي العهد المريني بدأت عناصر خارجة عن المملكة تسعى لاحتلالها للمزيد من المعلومات انظر : عبد العزيز بن عبد الله ، الموسوعة المغربية للأعلام المغربية والبشرية ، معلمة الصحراء ، ملحق (1) ، الرباط 1976 ، ص ص 120-121 ؛ انظر: محمد حجي ، الزاوية الدالية ، ص 158.

في الإحسان للضعفاء والأيتام ثم توجه بجيشه لقمع تمرد بني مطير ومن انضم إليهم كمجاط وبني مجيلد (1) .

وفي عام 1876 هاجم جيش السلطان منطقة بني يزناسن حيث تم القبض على قائد بني يزناسن محمد بن البشير بن مسعود وولد رمضان الوجري أمين وجدة ، وكان لهم نفوذ في المغرب الشرقي (2) . كذلك زار السلطان شواطئ المغرب وتغوره الجديدة وازمور والدار البيضاء والرباط وسلا وعاین الحصينات الدفاعية بهذه الثغور من أبراج وأسوار وغيرها ، وأمر بإصلاح ما يفتقر للإصلاح ، وزار السلطان الحسن الحدود المغربية الجزائرية التي اكتسبت أهمية خاصة في ذلك الوقت بسبب نشاط الفرنسيين فيها بعد استقرار الوضع لهم بالجزائر (3) ، وعندما بلغ وجدة عين عليها بوشتي بن البغدادي الجامعي والد عامل فأس ثم بعد ذلك توجه السلطان إلى عيون سيدي ملوك بانكاد فأمر ببناء قسبة بها مسجد لإقامة صلاة الجمعة ودور للسكن وفرناً ودكاكين وأسواق ثم بعد ذلك توجه إلى تازا ومنها إلى مكناس الزيتون (4) .

وفي عام 1877 غادر السلطان مكناس متوجهاً إلى مراكش فخيم بسبع عيون ومنها إلى عين عرمة ثم امحمصي ومنها إلى ابعاد بهت ومنها إلى الخميسان ومنها إلى العبابو ومنه إلى الطوبجين ثم لتيداس من بني حكيم وأقام هناك فالقي القبض على عدد من المتمردين ومن ثم توجه إلى المعازيز وبعدها إلى الدار البيضاء ومنها إلى عين السبت ثم

(1) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ص ص 152-156 .

(2) ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 261 .

(3) شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص ص 244 - 245 .

(4) الناصري ، المصدر السابق ، ص ص 145-151 .

بعد ذلك نهض إلى السراغنة انه لم يزل يواصل سيره للمرور على القبائل إلى ان وصل بحانوت البقال ثم بمراكش (1).

وفي عام 1878 بقي السلطان الحسن مقيماً في مراكش اشفافاً على الناس لما كانت سنة قحط إذ ان حبس المطر وارتفعت الأسعار ، فأمر السلطان عمال الأمصار وأمنائها ان يجمعوا للناس من الأقوات (2) .

وفي عام 1879 قام السلطان الحسن بحملة جديدة إذ خرج من مراكش ومر في طريقه على قبيلتي الرحامنة والسراغنة ولما وصل لايت عتاب اوقع بهم وعاقبهم جراء أهانتهم لعاملهم فقتل منهم 21 شخصاً ثم سار إلى تادلا فزعير فرباط الفتح واقام فيها اياماً ثم بعد ذلك زحف بجيشه على قبائل بني مطير الذين اغاروا على عرب دخيسة وأولاد نصير الدين ، ثم بعد ذلك سار السلطان من الرباط إلى بني حسن وزيور الشلح وجروان ثم نزل ببجوبة بني مطير الكراي والحاجب وامر بني مكيلد ان يزحفوا اليهم وربطوا عليهم آيت يوسي وآيت شغروشن وآيت عياش ثم رحل السلطان ودخل مكناسة الزيتون واقام بها شهراً ، وعزل القائد إدريس بن محمد وولى مكانه حم بن الجيلان ثم بعد ذلك رحل إلى فأس (3) .

وفي العام نفسه وجه عمه المولى الامين بن عبد الرحمن على رأس حملة بقيادة القائد حم بن الحسين البخاري ، لاستخلاص المترتب وإخماد الفتنة بقبيلة قليعة ، ثم وجه حملة اخرى إلى قبيلة مستاوة لإخماد الفتنة فيها ولأخذ الجباية المخزنية والإعشار المترتبة في ذممهم وبعد ذلك سارت الحملة إلى ان وصلت إلى آيت يزدك من قبائل الصحراء ، فسمع الكل وأطاع ثم مروا بآيت يوسي فأنهم رفضوا طاعة عاملهم وامتنعوا عن أداء المترتب عليهم

(1) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ص ص 160-168 .

(2) الناصري ، المصدر السابق ، ص ص 162-165 .

(3) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ص ص 194-195 .

من الضرائب فهجمت عليهم الجيوش المخزنية ⁽¹⁾ . نتيجة لإعمال الشغب التي ارتكبتها تلك القبائل ، وفي عام 1881 غادر السلطان الحسن مدينة فاس متوجهاً إلى مكناس إذ قام بها ستة أشهر كما عزل محتسبها المختار بادو وولى مكانه الحاج محمد أجانا كما احتفل بالعيد النبوي هناك ثم توجه من هناك إلى مراكش فمرّ في طريقه على قبيلة زمور الشلح فرباط لفتح فزعير ⁽²⁾ ، وكانت هذه الحملة السابعة .

وقد حقق في مراحل هذه الرحلة الطويلة التي استغرقت ذهاباً وإياباً (75) يوماً لتسوية عدد كبير من المشاكل المثارة في وجه القبائل التي مرّ بها السلطان كما اتخذ الكثير من التدابير الإدارية والقضائية والتنظيمية ، وثمّ في هذا تعيين هيئة من الموظفين والعمال والجنود لتعهد وحراسة المراسي الأربع وهي مرسى سيدي محمد بن عبد الله ومرسى سيدي ورزيك ومرسى اسك ومرسى اكلو بناحية تيزنيت ⁽³⁾ .

وفي يوم الاثنين 29 آيار/ مايو عام 1882 قام السلطان الحسن بحملة إلى الإنحاء السوسية لاتخاذ الإجراءات اللازمة في وجه مطامع الأسبان الذين ضاعفوا جهودهم للاستيلاء على مراسي هذا الإقليم وثغوره منذ ابرام الهدنة عقب حرب تطوان ، وترتكز مزاعمهم على الادعاء بأن هذه الجهات لا تخضع للمخزن ، وقد حسم السلطان هذه المطامع بمفتح ميناء اساكّا عند مصب نهر (نون) في أراضي قبيلتي تكنة وآيت باعمران ⁽⁴⁾ . ووجد السلطان من سكان هذه القبائل الذين خصصوا له استقبلاً كبيراً ، تجاوباً صادقاً لتجديد الولاء وتنسيق الخطط ضد الغزاة الأسبان ولاسيّما بعد إن سمع بأن الأسبان فتحوا لهم مكاتب تجارية هناك وإن مراكبهم التجارية والحربية تكثر من التردد لتلك النواحي ، واصرر السلطان

⁽¹⁾ عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ص ص 196-205 .

⁽²⁾ محمد التهامي الوكيل ، المرجع السابق ، ص 99 .

⁽³⁾ الناصري ، المصدر السابق ، ص ص 174-176 .

⁽⁴⁾ الحسين وكاك ، اطوارالصراع مع الاستعمار في سيدي افني وآيت باعمران من عهد الحسن الاول إلى عهد الحسن

الثاني ، دار الطباعة الحديثة ، الدار البيضاء ، 1969 ، ص ص 8-17 .

أوامره لقبائل دكالة وتامسنا بحمل القمح والشعير والتبن إلى القرى الجديدة وقرى الدار البيضاء تحمل في المراكب لساحل السوس الأقصى وبعد ذلك خرج من مراكش (1) .

وبعد ذلك توجه السلطان إلى قبائل الرحمانية فزمران ثم قبائل تادلة ثم بعد ذلك اتجه السلطان لقبيلة زعير وأقام بها عيد الفطر ثم منها إلى قبيلة زمور الشلح، وأقام فيما بعد بمدينة فاس ، وعند حلول عام 1883 قام السلطان الحسن بحملته التاسعة إذ قصد التوجه إلى مكناس التي أقام بها سنة كاملة ، وقد اتخذ السلطان عدداً كبيراً من التدابير المهمة منها إصلاح وادي فأس رفعاً للضرر الحاصل لسكانها من قلة الماء بالمساجد والدور والحمامات وغيرها من المرافق (2) .

وفي عام 1884 رجع السلطان إلى مكناس إذ أصدر السلطان أوامره لعاملها الباشا حم بن الجيلاني بانتخاب عشرة من الطلبة لدراسة فن التوقيت والحساب ثم توجه قاصداً عاصمة الجنوب عن طريق زمور الشلح ثم لرباط الفتح التي احتفل فيها بعيد الفطر ثم واصل استئناف حملته التي عرج فيها على قبائل زعير وتادلة وآيت بوزير وآيت عتاب ومنتيفة والسراغنة والرحامنة فمراكش (3) . وقد استغل السلطان فرصة مقامه بمراكش للتحضير للحملة الثانية لإقليم السوسي ، وقصد تفقد احواله وتسكين اضطرابه وإعادة النظر في ترتيب شؤونه وكيفية المرور بقبائله وتمهيدها وفي مراكش أقام حفلة العيد النبوي (4) .

ثم ترك الموكب الملكي هذه المدينة في شباط / فبراير عام 1886 محروساً بجيش كثير العدد والعدد وبعد استيفاء الغرض من هذه الحملة عاد الموكب السلطاني من كليم إلى

(1) الناصري ، المصدر السابق ، ص ص 175-177 .

(2) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ص 218-225 .

(3) الناصري ، الاستقصاء ، ص ص 177-179 .

(4) محمد التهامي الوكيل ، المرجع السابق ، ص 99 .

مراكش ، كما وجه السلطان عمه الامين لاستخلاص المترتب من الضرائب وإخماد الفتنة بقبيلة قليعة ، ثم وجه حملة اخرى إلى قبيلة مستاوة لإخماد الفتنة فيها (1) .

عام 1887 رحل السلطان الحسن الأول على رأس حملة كبيرة قاصدة عاصمة مكناسة الزيتون ، فقام بتأديب قبيلة نتيفة لأنهم رفضوا طاعة عاملهم عبد الله التزناكي ، كما أقام عيد الفطر بالزيدانية من أعمال تادلا ومن ثم حل السلطان في ثغر الرباط (2) .

عام 1888 رحل السلطان الحسن على رأس حملة كبيرة قاصداً مكناس ، ومن ثم اتجه للقبائل البربرية غازياً لها وهي آيت مالو من برابرة ، فازاز وهم بطن من صهناجة يشتمل على أفخاذ كثيرة مثل ظيان وبني مكيد شقرين وآيت سخمان وآيت يسرى وغيرهم لتفقد الأحوال في هذه القبائل وإخماد الفتنة التي أثارها بتي مكيد ثم عاد السلطان إلى مكناس وقام فيها 42 يوماً (3) .

عام 1889 زار ضريح عبد السلام بن مشيش ، ثم تقدم إلى مدينة تطوان فدخلها في يوم 4 ايلول إذ أقام بها (15) يوماً قبل التوجه لمدينة طنجة ثم منها إلى العرائش ثم عاد إلى فأس وأقام بها مدة بعد ان زار في طريق العودة مدينتي اصيلة والعرائش حيث تفقد فيها كثيراً من الحصون والمنشآت الحربية لحماية سواحل المغرب المطلة على المحيط الأطلسي وقد استغرقت حملته هذه 137 يوماً (4) .

عام 1891 غادر السلطان مكناس على رأس حملة كبيرة متوجهاً إلى مراكش وقد توفى في حملته هذه بإخماد ثورة بعض القبائل الواقعة بنواحي الدار البيضاء والرباط ثم توجه

(1) محمد اعيف ، الحركات الحسنية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، العدد (7-1980) ، ص ص 64-66 .

(2) محمد التهامي الوكيل ، المرجع السابق ، ص ص 99-100 .

(3) الناصري ، المصدر السابق ، ص ص 199-200 .

(4) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ص ص 265-271 .

السلطان إلى مدينة مكناس حتى أدرك عيد الأضحى بصخرة الدجاجة ، وبعد انتهاء العيد عين ولده المولى عباس على محلة الشاوية ووجهه إليها لمساعدة العمال والقواد لاستيفاء الإعشار المترتبة في ذممهم ، ثم بعد ذلك قمع السلطان تمرد بني خيران بعد ذلك اتجه إلى الحلايف وبني اور فرقة من الزيائدة (1) .

عام 1893 خرج السلطان الحسن الاول غازياً صحراء تافيلالت وقبائلها فخرج إليها من فأس حيث قام بزيارة ضريح مولاي علي الشريف وأقام هناك 17 يوماً (2) .

عام 1894 اتجه السلطان الحسن إلى العاصمة الجنوبية مراكش فكانت رحلته من تافيلالت إلى مراكش 25 يوماً ، ومن هناك كتب للقائد حم بن الجيلاني يشرح له أمر حملته وممر بطريقه على أهل اماسن وسكورة وآيت أبي دلال ورزازات ومنها إلى اتلوان وآيت زينب ووزكية وآيت امني ثم تلوات ، وفي هذه الحملة وقع شغب في الشاوية وكما وقعت مناوشات بين أهل مليلة والأسبان فوجه السلطان أخاه المولى عرفة لتهدئة الأمور هناك ، أقام السلطان بمراكش ، وصام رمضان وأقام سنة عيد الفطر ثم صار يهيئ لحملته للناحية الغربية لتفقد الأحوال (3) . فخرج السلطان من مراكش في آخر السنة غازياً لقبائل البربر بجبال فازاز لاسيما آيت سخمان وسار إلى ان أدركته المنية بدار زيدوح في وادي العبيد في ارض تادله (4)

7. حرص السلطان الحسن على تطبيق تعاليم الاسلام

(1) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ص ص 271-274 .

(2) محمد التهامي ، المرجع السابق ، ص 100 .

(3) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق ، ص ص 274-279 .

(4) الناصري ، المصدر السابق ، ص ص 205-206 .

وجه السلطان الحسن رسالة جامعة على الكثير من المواعظ والنصائح إلى المغاربة (1). وأمر عماله بالجدية في توزيعها ونشرها وأرسلها إلى رؤساء الطوائف ونقباء الزوايا ليجعلوها ضمن ارشاداتهم ، وقد بين السلطان في إحدى رسائله الباعث الأساسي لكتابة هذه الوصية فقال :

" والباعث عليها كون العامة غلبت في سائر الأقطار ، والجهالة امتد ظلها فتفياه الرعاع ، ولأجل ذلك اذعنا تلك الكراسة في الآفاق وكتبنا للعمال قاطبة بالعمل بما فيها وسارت بها الرفاق حتى سالت بأعناق مطاياها الا باطح وهبت بنواقيحها اللواقع " (2) .

وتشتمل هذه الوصية على مخطط واضح يبين ما يجب على المسلم القيام به إزاء نفسه وإزاء إخوانه ليكون بذلك سائراً على نهج الدين القويم بعيداً عن الزلل والانحراف وبدأ بالحديث عن التوحيد وما يجب على المسلم العاقل من المعرفة به معرفة تعتمد على البراهين العقلية والعقلية ليتحرر من رقبة التقليد ويذوق حلاوة الإيمان ثم تطرق إلى ذكر أركان الإسلام وما يتصل بها من الأحاديث والآيات موضعاً قيمتها وحكمتها في الدنيا والآخرة ، ولكنه أظهر أسفه بسبب ابتعاد الناس عن التزام الدين وبسبب إهمالهم لأركانه وأصوله " وقال (3) : " وقد كانت إن تترك هذه الدعائم ، ولا يوجد سائل عنها ولا حائم ، ونبذت الشرائع عياناً ، وارتكبت البدع إعلاناً ، وصار أمرها يتزايد في كل حين ، والحق لا ناصر له يعين " (4) .

(1) عبد الرحمن القباچ ، المرجع السابق ، ص 41 .

(2) عبد الرحمن بن زيدان ، المرجع السابق، ص 218 .

(3) نفسه، ص 218 .

(4) محمد بن عبد العزيز الدباغ ، التوعية الدينية والأخلاقية في سياسة السلطان الحازم المولى الحسن الأول ، مجلة

الإرشاد المغرب ، العدد (1-1983) ، ص ص 47-48 .

وهنا لاحظ إن السكوت عن هذا الإهمال عصيان ، وإن الواجب يقتضي الوعظ وتكراره ، والإرشاد واستمراره ولهذا قال السلطان : " فينبغي تكرير الوعظ والتنبيه والتحذير لئلا تقسو القلوب بتوالي الذنوب ... " (1) .

تعرض لفكرة الوعظ والإرشاد خشي إن يجد معارضة من الذين لا يؤمنون بتأثير الوعظ في تأثير السلوك فأقرهم على ذلك ، وبين إن الوعظ وحده لا يكفي إذ لابد من إن يكون الواعظ صادقاً في أقواله واضحاً بأفعاله ، ولهذا ذكر الولاة والحكام بان الإرشاد السلبي لا يفيد وإن القائمين بالحكم يجب إن لا ينبهوا الناس للطريق المستقيم إلا بعد إن 0 ينبهوا أنفسهم ويحضوها على العمل الصالح فقال في وصيته : " فليبدأ العامل بنفسه فيصرفها عن هواها ، ويأمرها بما يأمر به سواها ، ولا يكن من يدعو إلى طريق البر قد حاد عنه وخرج وانتصب لمعالجة غيره وهو إلى من يعالجه أحوج " (2) .

ولهذا حضى الحكام والولاة على انتقاء أصحابهم وعلى اختيار أهل الفضل والصلاح في أعوانهم وعلى الالتزام بالعمل ونصر المظلومين وهنا ذكر السلطان بان العدالة يجب إن تكون عامة شاملة ليتقياً الجميع في ظلها لا فرق بذلك بين المسلمين وأهل الذمة الذين رضوا باللجوء إلى حمايتنا والاطمئنان إلى حكمنا (3) .

وفي الوقت نفسه نبه الناس إلى وجوب الالتزام بالأخلاق الإسلامية فدعاهم إلى ان يحرروا أنفسهم من سيطرة الرذيلة والى اجتناب كل الأمراض الاجتماعية وحبب اليهم الخير ونفروهم عن ألوان الشر مبيناً لهم مضار الزنا والربا والرشوة والغضب والخداع والالتذاذ بأنواع

(1) نفسه ، ص 49.

(2) الخضر غيلان ، اهتمام السلطان الحسن الاول بعزة الاسلام ، مجلة الارشاد المغربية ، العدد (3-1983) ، ص ص 37-38 .

(3) عبد القادر زمامة ، من مآثر مولاي الحسن الاول ، رسالة التجديد الإسلامي في المغرب دعوة الحق ، العدد (4-1971) ، ص ص 118-120 .

الخمور وما في الامتناع عن أداء الزكاة من الانحراف عن الصواب (1) ، ثم بعد ذلك قدم أوامر لعماله تدل على حسن سياسته وصدق عزمه في إصلاح البلاد المغربية .

أولاً : أمرهم ان يلزموا أنفسهم وأهليهم بطاعة الله وان يدلوا الناس عليها .

ثانياً : إن يجعلوا في كل قرية فقيهاً يعلم المواطنين شؤون دينهم ويعظهم في صلواتهم .

ثالثاً : إن يحرصوا على الأمن وان يجتهدوا في إبعاد أسباب الخوف عن المواطنين .

رابعاً : إن يتفقدوا أحوال الفقراء الذين لم يستطيعوا العمل وألبسهم التعفف ثوباً من الغنى فيعينونهم على مواجهة الحياة ويقدموا لهم مساعدات ليحموهم من الضياع .

خامساً : إن يعاقبوا كل من امتنع عن الاستجابة للتعليم ومعنى هذا التفكير السلطان الحسن في جعل التعليم إجبارياً يعاقب عليه من تقاعس عنه (2) .

وأشار السلطان الحسن في ختام الوصية إلى ضرورة العمل بالعلم والى عدم الاكتفاء بالمعرفة لان المعرفة المجردة لا تفيد ولهذا قال في وصيته " فتعلموا واعملوا فان من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم " وفي الحديث (اليوم علم ولا حساب وغداً حساب ولا عمل) ، واستمر السلطان في ذكر الاستدلالات الدينية في العمل المنبه إلى فضائله هادفاً من وراء ذلك إلى إبراز فضل العلم ومنبهاً قراء وصيته إلى انه يجب عليهم إن يمتثلوها ويمارسوها ولا إن يرددوها بألسنتهم ضمن المحفوظات والمعلومات (3) .

(1) محمد التهامي ، المرجع السابق ، ص ص 103-104 .

(2) محمد بن عبد العزيز الدباغ ، المرجع السابق ، ص ص 51-52 .

(3) محمد بن عبد العزيز الدباغ ، المرجع السابق ، ص ص 52-53 . ؛ محمد التهامي الوكيل ، المرجع السابق ، ص ص 104-105 ؛ والخضر غيلان ، المرجع السابق ، ص 38 .

10. وفاته ومدفنه :

في نهاية عام 1894 غادر السلطان الحسن الأول مراكش في طريقه إلى فأس للقيام بجولته التاسعة عشرة وهو يتحامل على نفسه وعلى ما به من الألم وهو مريض ، فكان يتكلف معه الخروج للناس وينفذ القضايا ويجلس للوفود ويجيزهم ويفعل جميع الأمور المخزنية ، ثم خرج عن مراكش وتحامل حتى انتهى إلى وادي العبيد من ارض تادلا فأدركته المنية هنالك في الساعة الحادية من ليلة الخميس ثالث ذي الحجة متم عام احد عشر وثلاثمائة وألف لعام 1894 وحمل للرباط الفتح ودفن مع جده السلطان محمد بن عبد الله ، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر (1) .

(1) الناصري ، المصدر السابق الجزء 9 ، ص ص 206-207.

المبحث الثاني : سياسة السلطان الحسن الأول الإصلاحية

(1) الإصلاح السياسي

1.1. تنظيم الجهاز الحكومي

يعد السلطان الحسن الأول المجدد الحقيقي للجهاز الحكومي في المغرب ، والذي أصبح في عهده ذا حكومة منتظمة تشتمل على عدة وزارات ، بعد ان كانت لا تتوفر الأعلى وزير واحد يكون بمثابة المعين للسلطان في إشغاله ، والوزارات التي صارت تتألف منها حكومة المغرب هي:

- وزارة الصدارة العظمى ، وتشمل رئاسة الوزارة ، وزارة الداخلية .
- وزارة الشكايات ، تمثل وزارة العدل .
- العلاف الكبير ، يشبه نوعاً ما وزير الحرب ، وهو الذي يعد سجل الديوان العسكري ويقدمه للسلطان بإمضاء الصدر الأعظم .
- وزير البحر ، اسس الحسن الأول هذه الوزارة لضبط علاقة المملكة مع الدول الأجنبية فكان واسطة بين السلطان والسلوك الدبلوماسي يهتم بقضايا المحميين القنصلين ويحضر مشاريع الاتفاقيات والمعاهدات بين المغرب ودول أوربا ويحرر الرسائل إليها .

- أمين الأمناء الذي تتحصر مهمته في جزء من الاختصاصات العادية لوزراء المالية مثل السهر على تعيين أمناء المراسي أي الجباة الجمارك والديوانات والأملاك المخزنية والمستفاد أي الضرائب المباشرة (1).

هذه كانت حكومة المخزن في احسن ظروفها ، وكانت حكومة السلطان الحسن تتألف من :

- الصدر الاعظم ، الحاج المعطي الجامعي .
- وزير الحرب ، محمد الصغير الجامعي .
- وزير المالية ، موخا التازي الرباطي .
- وزير البحر ، فضول غرنيط .
- وزير الشكايات ، علال المسفيوي .
- أمين الحساب ، العربي الزيدي .
- كبير المحلة ، قائد الجيش بمحمد الشرقي (2) .

وكان السلطان هو المنسق الأكبر لشؤون الدولة بصفته الرئيس الفعلي للحكومة والقائد الأعلى للجيش ، فقد كان الحسن الأول مثلاً يدرس كل صباح ملفات الوزراء ويوقع الرسائل التي ينقلها وصيف الدار الى الحاجب فيوجهها إلى الوزارات المعينة بعد إن يسجلها في دفتر خاص (3).

إلى جانب تلك المناصب ، الوزارية كانت هناك مناصب خاصة بالبلاط دون مرتبة الوزير ، من أهمها منصب الحاجب ، الذي كان بمثابة الكاتب السري للسلطان ويقوم بعملية تنظيم دخول الأشخاص لمقابلته ، كما كان صاحب الديوان والمسؤول عن الأختام الرسمية للسلطان ، ومستشاره في المهمات السرية والخطيرة لذلك لم يكن غريباً أن يصل نفوذ بعض

(1) عبد الحميد ابن ابي زيان بنشنهو ، بينان المطرب لنظام حكومة المغرب ، الرباط 1951 ، ص22؛ عبد العزيز بن عبد الله ، تاريخ المغرب ، ج2 ، ص74 ؛ إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ص 366 ؛ الحسن السائح ، التنظيمات الادارية المغربية ونزعتها الانسانية ، مجلة الارشاد العدد (2-1982) ص9 .

(2) إبراهيم حركات ، المرجع السابق، ص 367 .

(3) عبد العزيز بن عبد الله ، تاريخ المغرب ، ص ص 75-76

الحجاب إلى حد توليهم منصب الصدر الأعظم⁽¹⁾ ، كما كان هناك منصب قائد المشور المسؤول عن حماية القصر السلطاني والإشراف على الحفلات الرسمية ، واعتقال الولاة وكبار الموظفين في حالة غضب السلطان عليهم⁽²⁾. وبلي هذه المناصب في الأهمية مناصب الحكام المحليين الإقليميين⁽³⁾. فقد صنف التـشكـيلات الإدارية في الأقاليم الستة التي كانت موجودة على عهد الحسن الأول وهي على الشكل الآتي (4) :

* المغرب الشرقي الذي يبتدئ من الحدود المغربية الجزائرية ويمر من وجدة وتازة إلى تافيلالت .

* ناحية الشمال وفيها تطوان وطنجة والقصر والعرائش ووزان ومركزها هو العاصمة (فأس) .

* المغرب ومركزها مكناس .

* ناحية العدوتين وتامسنة وتشمل الرباط وسلا وقبائل الشاوية ووكاكة .

* ناحية الحوز ومركزها مراكش مع اسفي والصويرة .

* الجنوب الغربي ويشمل اقليم شنقيط وما يقع غربه المحيط الاطلسي ونهر السنغال جنوباً والجنوب الشرقي ويمتد من شنقيط الى الشرق شاملاً منطقة توات والساور (يشار والقنادسة) تيدلكات (عين صالح)⁽⁵⁾.

ويعين على هذه الأقاليم والمناطق القبلية مناصب الحكام الاقليميين حسب أهمية المدينة أو المنطقة ، ففي المدينة الكبيرة كانت هناك وظيفة الخليفة الذي يعينه السلطان من

(1) عبد الحميد بن ابي زيان بنشهو ، المرجع السابق ، ص ص 20-27 .

(2) علال الفاسي ، محاضرات في المغرب العربي منذ الحرب العالمية الاولى ، القاهرة ، 1955 ، ص ص 45-58 .

(3) عزيز سلام ، ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية ، الرباط 1979، ص 114 .

(4) نفسه ، ص ص 114-116 .

(5) عزيز سلام المرجع السابق ص 116 .

أفراد الأسرة الحاكمة ، إلا ان مهامه كانت اسمية ، تقتصر على تمثيل السلطان في المناسبات (1).

وكان هناك عامل لكل مدينة ، يطلق عليه الباشا ، أما المناطق القبلية ، فقد كانت الصلة بين المخزن والقبيلة ، عن طريق موظف يطلق عليه القائد ويعد هذا المنصب من المراكز المهمة البالغة الحساسية في المغرب ، لمساسه المباشر بشؤون القبائل ، ولهذا كان القادة يختارون من الرجال المتنفيين الاقوياء في قبائلهم ، أما إذا كانت سلطة الحكومة قوية فإنها تلجأ إلى تعيين شخص من خارج القبيلة قائداً عليها (2).

أما حدود سلطة القائد فقد كانت تعين من لدن رجال القبائل أنفسهم ، أما أهم واجبات القائد في بلاد المخزن (3).

1- قيادة قوات القبيلة والاتحاق مع قبيلته في الحملات التي كان يرأسها السلطان.

2- حماية أمن منطقته ، والحكم في القضايا الجنائية التي تحدث فيها .

3- جباية الضرائب ، مع خصم جزء كبير منها لنفسه .

أما البلاد السيية ، فيمكن تمييز نوعين مختلفين من القادة ، الأول:- كان يتم تعيينه من السلطان بظهير (مرسوم). والثاني:- القادة الذين وصلوا إلى مراكزهم بالوراثة أو بالجهد الشخصي (4) ، على أي حال سارت الحكومة على نهج ثابت في التعامل مع القادة ، إذ كانت تفرض مطالب مالية كبيرة على القادة وقبائلهم ، لزيادة قوتها وهيبتها من جهة ، وافتقار

(1) عبد المجيد بن جلون ، هذه مراكش ، القاهرة ، 1949 ، ص 83-84 .

(2) إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 368-371 .

(3) بلاد السيية:- أي التي كانت خاضعة لحكم الزعماء المحليين .

(4) Robin Bidwell , morocco, undercoionial /Rule, London, 1973.P.73-74.

وكذلك جرمان عياش مشكلة الاصلاح من زاوية التاريخ, مجلة الاداب والعلوم الانسانية العدد (8-1981) ص 291-

القبائل حتى لا تتمكن من شراء الأسلحة والخيول من جهة أخرى. فقامت الحكومة بتمزيق هذه القيادات ، عن طريق توزيعها على وحدات صغيرة متعددة ، إذ قسمت الدوائر القديمة واحداث دوائر جديدة تطورت بمقتضى هذا التقسيم من 18 دائرة الى 330 على رأس كل منها قائد معين من طرف الحكومة ، فمثلا وضع لقبيلة بني حسن سبعة عشر قائدا ، وقسم السلطان الحسن منصبي القيادة الى عشرة مناصب⁽⁴⁾ ، أما الاسلوب الآخر الذي اتبعه السلطان فهو عدم تشجيع القادة على التعاون مع جيرانهم من القبائل الاخرى ، وجعلهم في حالة دائمة من التنافس المتبادل ، مع ضرب الواحد بالآخر ، نتيجة لتلك الظروف ، اتسم النظام الاداري في المغرب بالفوضى والمحسوبية والرشوة والفساد ، فكانت الوظائف تباع وتشترى ، وكان للحكومة دور كبير في

دفع العمال والقادة الى الابتزاز ، نتيجة لعدم دفع مرتبات لهم او ترقية⁽¹⁾. اما المواطنين المغاربة فلم يكن امامهم للتخلص من قاداتهم المتعسفين ، سوى رفض جمع المال او الالتماس من السلطان بعزل هذا القائد والعامل او ارسال قائد آخر ، وفي حالة عدم تلبية طلبهم ، كان الطريق الوحيد امامهم القيام بحركة ضد الحكومة وقتل القائد ، هذا ولم يكن الفساد مقتصرًا على النظام الاداري ، بل شمل النظام القضائي⁽²⁾.

2- النظام القضائي:

أما في مجال القضاء فنظراً للسمة الدينية الغالبة على السكان المغاربة ، والترابط الوثيق بين القضاء والامور الدينية التي اعترف الجميع بأحقية السلطان في ممارسة النفوذ عليها لذا فقد سلمت جميع القبائل التي اعترفت بسيادة السلطان الاسمية بحقه في تعيين

(1). R. Bidwell, OP. Cit, P. 75 .

(2) R.B. Genningham Graham, MoGreb- EL- Acksa, New Youk, 1930 .PP. 52- 53

وكذلك. محمد اعفيف ، دلالة الاصلاح من خلال نص مغربي من القرن التاسع عشر ، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية ، العدد (9-1982) ص ص 181-189 .

القضاة بصفته أمير المؤمنين ، ولم يقتصر السلطان الحسن على نشر القضاء بين القبائل بل ادخل القضاء المدني في المدن التجارية (1) ، من شأنه أن يسد في وجه الاوربيين الذين يطالبون بالاحتفاظ بمحاكمهم القنصلية ، وذلك بإحالة الكثير من القضايا الجنائية والمدنية الى القادة والباشوات لينظروا فيها، رغم أنهم لم يكونوا قبل ذلك يتعاطون الشؤون القضائية(2) ، وكبقية المؤسسات الحكومية الاخرى ، عانت اجهزة القضاء المغربي من مساوئ متعددة. ونظراً لعدم قيام الدولة بدفع المرتبات للقضاة (3) ، فإنهم فرضوا مبالغ معينة من المال مقابل الفصل بخصوماتهم (4) ، ومن النصوص التي توضح هذا الفساد في القضاء المغربي هو الخطاب الذي وجهه السلطان الحسن الاول للأمة المغربية بمناسبة رأس القرن الرابع عشر الهجري حيث يدعو القضاة كي يتمسكوا بالمبادئ الأخلاقية الاصلية المعروفة في القضاء الاسلامي ، وكذلك الخطاب الذي وجهه الحسن الاول لقضاة مراكش ، فهو يخاطبهم بصراحة مشيراً الى انتشار الفساد والرشوة في صفوفهم ، وخروجهم عن القضايا الخارجة عن اختصاصهم ولا أدل على ذلك من الثروات التي جمعوها ، ثم يتصدى لتأنيبهم ويهددهم بأنزال العقوبة بهم أن لم يرجعوا الى السلوك المثالي المنتظر من رجال القضاء(5). ومن خلال هذين المثلين نرى رغبة الحسن الاول في اصلاح القضاء المغربي ، وبصورة عامة فقد توزع النظام القضائي في عهد الحسن على نوعين من المحاكم:-

(1) منسي المسلط ، المرجع السابق ، ص 377 .

(2) علل الفاسي،الحركات الاستقلالية في المغرب العربي،تطوان1957ص ص 86- 87 .

(3) عبد المجيد بن جلون ، المرجع السابق ، ص ص 51- 52 .

(4) حزب الاستقلال ، المرجع السابق ، ص ص 50- 52 .

(5) محمد زنيير ، الفكر المغربي في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية ، المغرب

، العدد (الثامن - 1981)ص ص 323- 334 .

المحاكم الاسلامية ، ذات السلطات: الواسعة ، التي كانت تحكم بموجب المذهب المالكي بين المواطنين المغاربة وتشمل: المحاكم المخزنية⁽¹⁾ ، التي يرأسها الباشا او القائد ، والمحاكم التقليدية ، التي كان يرأسها القاضي والى جانب القضاة المدنيين ، كان هناك ايضا قضاة في الجيش يعينون لغرض الفصل في الخلافات التي تحدث بين افراده⁽²⁾. وعلى اساس ماتقدم فإن السلطان الحسن الاول وفي مسعى منه لقطع الطريق امام اتساع الامتيازات الممنوحة لبعض القناصل الأوربيين ولاسيما ما يتعلق بالقضاء والتي كانت حجتهم فيها هي عدم الاطمئنان للقضاء الاسلامي ، بحل مشكلات المسلمين⁽³⁾، فإنه رأى من الانسب اصلاح القضاء وتحديثه ، مما يهيئ له بسط سيطرته ونفوذه على هذا الجانب من شؤون الدولة من جهة وزيادة ثقة الأوربيين في المحاكم المغربية من جهة اخرى ، فأصبح يسند مهمة القضاء لا الى قضاء شرعيين بالمعنى الذي كان سائداً ، أنما الى اشخاص قد لا تكون ثقافتهم الشرعية هي مؤهلهم الوحيد لذلك⁽⁴⁾ ، بل قد يكون الى جانب ذلك كقادة وحكام إداريين ، على الرغم من هذه المحاولة الجادة من السلطان الحسن لزيادة الثقة بالقضاء عن طريق سيطرة الحكومة المغربية فإن تلك المحاكم الحكومية ظلت اشبه بالمحاكم الشرعية منها المحاكم المدنية ، بسبب عدم وجود قانون متميز ولو في الشكل عن الشريعة الاسلامية⁽⁵⁾.

3- استحداث البريد:

(1) جمال هاشم احمد ، التطورات السياسية الداخلية في المغرب الاقصى (1894-1912) رسالة ماجستير ، كلية الآداب- جامعة بغداد 1989، ص 44 .

(2) نفسه ، ص 44 .

(3) سيدي محمد عبد الرحمن ، حركة الاصلاح والتحديث في المغرب الاقصى (1844- 1912) رسالة دكتوراه كلية التربية ، جامعة بغداد 2001 ، ص ص 141-142 .

(4) سيدي محمد عبد الرحمن ، المرجع السابق ص 142 .

(5) نفسه ، ص 144 .

أن أول بريد عرفه المغرب الحديث ويطوابع بريدية هو البريد الاسباني بعد هزيمة المغرب في حرب تطوان سنة 1860 إذ افتتح أول مكتب بريدي خاص بالجيش الاسبانية الموجودة في المغرب بموجب المرسوم الملكي الاسباني الصادر بتاريخ 7 تشرين الثاني سنة 1859⁽¹⁾.

وكانت تستعمل الطوابع الاسبانية الموجودة آنذاك ، وتختم بخاتم الجيش الاسباني بالمغرب ، لكن هناك قسم من الرسائل ختمت طوابعها بالصدفة بالمغرب⁽²⁾. أما البريد الفرنسي بطنجة فقد بدأ قبل البريد الاسباني بنحو ست سنوات أي في سنة 1854 لكنه كان مكتباً ثانوياً وصغيراً وتابعاً لمكتب وهران الرئيس في الجزائر لهذا لم يُعدّ وجوده بالمعنى الصحيح حتى سنة 1862 بعدما فتحت المفوضية الفرنسية بطنجة مكتباً بريدياً فرنسياً من الدرجة الأولى ، وكان يستعمل الطوابع البريدية الموجودة ، آنذاك⁽³⁾ ، إما بريطانيا بدأت في استعمال طوابعها الخاصة بجبل طارق سنة 1872 وكانت تختم بخاتم صغير دائري كتب عليه عبارة Tangier . وبتاريخ 1886 صدرت أول مجموعة بجبل طارق فشرع باستعمالها في مكاتب البريد البريطاني التي كانت قد فتحت بالكثير من المدن المغربية⁽⁴⁾ ، ففي تلك الحقبة كانت المكاتب البريدية الأجنبية قد فتحت في كثير من المدن المغربية ساحلية وداخلية ، وعلى الرغم من أنها قدمت خدمات

كثيرة للمغرب لكنها في الوقت نفسه كان وسيلة للتجسس والتخريب والتحريض على الحكومة الشرعية ليصبح المغرب تحت رحمتها⁽⁵⁾. وصل الخبر الى السلطان الحسن الأول فغضب وكتب للسيد محمد بركاش وزير الخارجية يأمره بأن يمنع البرد الأجنبية من ممارسة

(1) الخضر غيلان ، تاريخ البريد في المغرب ، مجلة الإرشاد- المغرب ، العدد 1-1983 ص 13 .

(2) نفسه ، ص 13 .

(3) الخضر غيلان ، المرجع السابق ، ص 14 .

(4) نفسه ، ص ص 14-16 .

(5) نفسه ، ص 16 .

عملها اللامشروع في رسالة أرسلها في 27 تموز سنة 1879⁽¹⁾. فيما يلي نص الرسالة المرسلة الى بركاش خديمنا الأرضي الطالب محمد بركاش.

" وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد .

فقد بلغنا ان بعض التجار أحدثوا البوسطة في بعض المدن من هذه الاياله المحروسة بالله .

وغير خاف أن هذا ان صح لم يتقد مثله في هذه الاياله واختراع لم تتضمنه شروط ولا قوانين وانه جعله بغير إذن أفتيات كبير وتجرو منهم لا يسوغ السكوت لهم عليه ويتعين الكلام معهم فيه وكما ينبغي لك إن تكون عيناً وإذنأ عليهم في مثل هذا وتعلمنا به قبل صدوره منهم ليتدارك بما يصرفهم عنه ، وعليه فنأمرك إن تبحث في ذلك وأن الفيته صحيحاً فأزله ولا تتركه أصلاً ولا توافق سفيرهم على بقائه لكون الأمور الخارجة عن الشروط لابد منها في كلام الدول مع بعضهم بعضاً ولا كلام فيها لغيرها والسفراء يعرفون ذلك يعلمون المسائل التي تسلك بين الناس ولا يحتاج فيها الى الرفع للدول والكلام معهم فيها وموافقتهم عليها وان لقيته غير صحيح وطلبوه منك فلا تقبله معهم واجبهم عنه بما ذكر او بما ظهر لك مما يصرفهم عن ذلك اصلحك الله والسلام " في 27 رجب سنة 1296 الموافق 27 تموز / يوليو / 1879⁽²⁾ .

وصلت الرسالة السلطانية الى وزير الخارجية بطنجة ، وتفاوض مع سفراء الدول الاجنبية التي لها مكاتب بريدية ببعض المدن المغربية وكانت النتيجة المماثلة واللامبالاة⁽³⁾.

(1) نفسه ، 17.

(2) الخضر غيلان، المرجع السابق ،ص16 .

(3) نفسه، ص ص 16-17 .

وفي إطار الاصلاحات الحديثة التي دخلت الى المغرب منها البريد المخزني: أي معناه البريد الحكومي او كما يعرف ببيوسطة المخزن ، الذي وضع له السلطان الحسن الاول تنظيمًا محكمًا ابتداءً تطبيقه عملياً من مدينة الجديدة الى مدينة مراكش ، في كانون الثاني/يناير سنة 1891⁽¹⁾ . ثم بعد نجاح هذه التجربة وضع السلطان تصميماً كاملاً لتعميم هذا التنظيم بين سائر المدن المغربية ، وعهد بتنفيذ هذا المشروع الى عثمان بن الحاج عبد الكريم ابن جلون الفاسي بظهير بتاريخ 22 تشرين الثاني/نوفمبر سنة 1892⁽²⁾ . وقد تضمن هذا الظهير على التعليمات الآتية ، أحداث طابع بريدي مغاير للطريقة المتعارف عليها ويكون على شكل اختام خاصة يطبع باحداها على الرسائل والطرود ، ومن ثمّ على الكيس البريدي الذي يسميه الظهير "الشكارة" (الحقيبة التي توضع فيها الرسائل) وكانت طوابع الرسائل والطرود عبارة عن ختم مستدير وفي بعض الاحيان مثنى الشكل وبداخله اسم البلد مع زيادة عبارة " المحفوظ بالله " هذا فضلاً عن الكيفية التي يتم فيها تنظيم البريد وتوزيعه بين المدن المغربية وكان يستعمل لذلك الرقاصون⁽³⁾

فضلاً عن تسلم تكاليف الرسالة البريدية من اصحابها⁽⁴⁾

الاصلاح العسكري :

1- الجيش:- يتألف الجيش المغربي في عهد السلطان الحسن من قبائل الجيش الاربعة .

(1) محمد المنوني ، مظاهر يقظة المغرب الحديث ، ج 1 ، الرباط 1973 ، ص 83 .

(2) نفسه ، ص ص 88-89.

(3) الرقاصون : جمع رقاص وهو ساعي البريد في لسان العرب يعني نوعاً من السير السريع والرقاص هو ساعي البريد كما يعرفه الاصطلاح المغربي فقد كان منهم الرقاص العادي ورقاص الشرط أي ساعي البريد المستعجل ينقله بين اطراف البلاد مع الخيل بمنتهى الأمانة والسرعة ، وكان ساعي البريد يجد في كل محطة حصاناً مسروحاً يمتطيه إلى المحطة القادمة .

للمزيد انظر : عبد الهادي التازي ، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ ، الرباط 1983 ، ص 34 .

(4) سيدي محمد بن عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 143.

- (1) الشراقة: وهو في الاصل لقب لعرب بادية تلمسان وسموا بذلك لأنهم في جهة الشرق من المغرب الأقصى ، فأهم مجموعاتهم أولاد جامع بشمال فاس⁽¹⁾ .
- (2) الشاردة : واصلهم من العرب معقل وهم قبائل أولاد الديلم والشبانات ، وقد نقلهم المولى اسماعيل من الحوز الى وجدة ، وكانت مهمتهم التضيق على بني يزناسن⁽²⁾ . إذ كانوا آنذاك منحرفين عن الدولة .
- (3) الأودايا : وقد اوجدتهم المولى اسماعيل ويستقرون على ضفاف وادي مكس من روافد سبو وقسم بقصبة الرباط ، وثالث بحوز مراكش ، ورابع قرب صفرو . ويصفهم الناصري بأنهم أمثل جيوش الدولة الشريفة⁽³⁾ .
- (4) عبيد البخاري⁽⁴⁾ : وقد تشكل هذا الجيش في عهد المولى اسماعيل ، وكانوا يدينون بالولاء للسلطان فقط .

وجلب هؤلاء العبيد السلطان السعدي احمد المنصور الذهبي⁽⁵⁾ .

(1) الناصري ، المصدر السابق ج7، ص ص 41-43.

(2) للمزيد من المعلومات عن بني يزناسن انظر : قدور بن علي بن البشير ، بني يزناسن عبر الكفاح الوطني ، الرباط 1976 .

(3) الناصري، المصدر السابق: ص ص 50-51 .

(4) نوري عبد الحميد خليل العاني ، جيش عبيد البخاري ودوره السياسي في المغرب الاقصى (1672-1757) ، محلة الاستاذ ، كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد ، العدد (9-1997) ، ص ص 88-113 .

(5) احمد المنصور الذهبي ، من اشهر السلاطين السعديين او الدولة السعدية (1578-1603) تميز بإدارة حازمة في داخل المغرب وفتوحات كبيرة خارج المغرب في افريقيا. المزيد من المعلومات عن حياته وفتوحاته الخارجة انظر: محمد الغربي ، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، بغداد- 1982 .

وقد شهد هذا الجيش ، نتيجةً للهزائم الكبيرة التي الحقت به على يد الجيوش الاوربية في الاعوام 1844 في ايسلي و 1859-1860 في تطوان ، تطورات مهمة ولاسيما في عهد السلطانيين محمد بن عبد الرحمن والحسن الاول (1).

حيث اعيد تنظيم الجيش وتم بناء قوات نظامية جديدة ، ثم تزويدها بالمدرين والاسلحة المتطورة في ذلك العصر ، فحظى الجيش النظامي في عهده بعض الخطوات عندما وجده القوة العسكرية غير كافية ابتداءً بفرض الجيش على قسم من المدن (2) ، فالزم اهل فاس بخمسمائة ، والزم اهل العدوتين (الرباط وسلا) بستمائة والزم غيرهما من اهل الثغور بمائتين (3). اعتنى السلطان الحسن بهذا الجيش ، فكان يباشر عرضه وترتيبه بنفسه وجلب له المدرين من انكلترا وفرنسا واسبانيا ، وأرسل البعثات الى الكثير من الدول الاوربية ، وقد اعتمد في ذلك على بريطانيا ولاسيما في المراحل الاولى ، إذ اقنعه "هاي" في توجيه البعثات المغربية الى جبل طارق لتحصيل المزيد من المهارات العسكرية والطبية ، إذ تلقى نحو اربعمائة عسكري مغربي تدريبه هناك فيما بين : 1876-1878 تحت إشراف الضابط البريطاني كامرون Cameron (4). موزعة على دفعات وكآلاتي: كانت اولها سنة 1876 ، وقد ضمت: خمسة وعشرين جندياً كان على رأسها علي بن أبل المراكشي وحين اكمل هذه المجموعة تدريبها عادت بعد سنة ، ثم توجهت الدفعة الثانية الى جبل طارق سنة 1877 مكونة من خمسة وثمانين جندياً سبعة منهم للتدريب على الاساليب العسكرية وعشرة على استعمال المدافع وخمسة لتعلم الطب (5) ، كما توجه ثلاثة طلبة في السنة نفسها الى

(1) عبد المجيد بن جلون ، المرجع السابق ، ص ص 50-53 .

(2) Abrn Nasr. Jamli, A history of the Maghrib, Paress , 1977. P.p. 293-294.

(3) محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص ص 55-61 .

(4) سيدي محمد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 165 .

(5) عبد الحق الميرني ، الاصلاحات العسكرية في عهد الملك المصلح مولاي الحسن ، مجلة دعوة الحق ، المغرب العدد

(4-1969) ص 170 .

الأكاديمية العسكرية بكود البحار Cuadalara بإسبانيا⁽¹⁾ ، أما في سنة 1884 أرسلت الحكومة المغربية بعثة إلى مدينة اسن "Essen" بألمانيا للتدريب على مدافع كروب "Krupp" وكانت هذه البعثة تضم أربعة وعشرين عسكرياً ، من بينهم أحمد الحمري ، والسباعي البرطاعي ، وأحمد الشديد ، وفي السنة نفسها أرسلت بعثة عسكرية إلى برلين "Berlin" منهم الميلودي الريافي ، والحسين الودي ، وعبد السلام الدسوي للتدريب داخل الحرس الألماني⁽²⁾ ، وفي سنة 1885 أرسلت بعثة. متكونة من اثني عشر عسكرياً لدراسة اللغة الفرنسية والحساب والهندسية التطبيقية ، في سنة 1886 أرسلت بعثة لتدريب في معمل السلاح بمدينة ليخ "Liege" ببلجيكا وتضم سبعة وخمسون طالباً عسكرياً . تدريبوا على أنواع مختلفة من الأسلحة والمهن ذات العلاقة ، وفي سنة 1888 أرسلت بعثتين إلى إيطاليا: الأولى تتكون من ثلاثة طلبة ، أما الثانية فتتكون من تسعة عشر طالباً عسكرياً ، وقد درسوا في المدرسة الملكية الدولية بتورينو "Turin" وأهم الميادين التي ركزت عليها التدريبات هي: الهندسة العسكرية وتكوين مدربين ولاسيما للمشاة ، وللرمية بالأسلحة الحديثة ولاسيما البنادق ، وكذلك البحرية وصناعة السلاح ، وهكذا يكون قد تدرب في المدارس والأكاديميات الأوروبية ما بين 1876-1894 عدة مئات من الطلبة المغاربة في الميدان العسكرية⁽³⁾.

(1) محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص ص 174-175 .

(2) والدول التي ذهب إليها أولئك الطلبة في بعثات هي ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا ؛ أحمد المكناسي ومصطفى الكوشي ، وثائق لدراسة تاريخ المغرب ، مراسلات مولاي الحسن الأول (1877-1894) . القسم الأول ، المجموعة الأولى ، وثيقة رقم ، 1291 لسنة 1892. ورقم 1292 لسنة 1876. ورقم 1294 لسنة 1877 1295 لسنة 1878. وثيقة 1301 لسنة 1884 .

(3) نفسه ، وثيقة رقم 1356. لسنة 1884 .

وهناك عدة رسائل سلطانية في شأن هذه البعثات ، منها ما هو موجه لبركاش نائبه في طنجة ومنها الى قسم من الملوك الاوربيين ، ومن هذه الرسائل تتضح الآمال التي كان السلطان الحسن الاول يعلقها على هذه البعثات (1).

2- التدريب الحديث

بدأت الحكومة المغربية تستعين بالخبرات الاوربية في تدريب الجيش تدريباً حديثاً إذ تمّ التعاقد مع الضابط البلجيكي كرينارد Crignard لتدريب الجيش المغربي والانكليزي ماكلين "MacLaeen" واخويه ، حيث سارمالكين يدرب طابوراً يتكون من بعض خريجي جبل طارق على مدفعية ماكسيم Maxis (2) ، وكذلك وقع اتفاق بين الحكومة المغربية والايطالية في عام 1887 على قبول بعثة مكونة من الضباط بريكولي "Bregoli" وفلتا "Falta" وفيرارا "Farara" فضلاً عن خبيرين تقنيين في السلاح. كذلك تم الاتفاق بين الحكومتين المغربية والاسبانية في كانون الأول / ديسمبر عام 1889 على ارسال بعثة عسكرية مكونة من الكومندار خوسيه الفاري "Josealrara" والضابط بلارد Belarde وكانت مهمتها تكوين تقنيين في ميدان ترميم وبناء الجسور (3) ، فضلاً عن الطبيب كورتيس بايون "Kortesy Bayon" الذي كان يمارس عمله في القصر السلطاني ، كذلك فاتح السلطان الحكومة الفرنسية في ارسال قسم من المدربين الفرنسيين لتدريب جنوده على استعمال المدفعية (4). فأرسل عدد من الضباط للخدمة في الجيش المغربي ، ولقد قسم السلطان هؤلاء المدربين على مناطق متعددة من المغرب ، فكان بعضهم يعمل في منطقة وجدة في الشرق ، وبعضهم في الرباط وبعضهم في مراكش وبعضهم ملحق بالحرس

(1) نفسه ، وثيقة رقم 1301 لسنة 1884 .

(2) عبد الحق الميرني ، المرجع السابق ، ص 169.

(3) Abun Nasre, Jamile. Op. Cit, P. 293.

(4) Ibid, p. 294

السلطاني ويتبع السلطان في تحركاته⁽¹⁾ ، ولكن مما يؤخذ على هؤلاء الاجانب العاملين في جيش السلطان ، كانوا يعملون بصفة استخباريين لبلدانهم اكثر مما كانوا يعملون للجيش المغربي⁽²⁾ ، فإذا كان في وسع الحكومة المغربية أن تمنع في السابق توغل الاجانب في بلادها استحالة عليها بعدئذ ذلك ، بحكم انتشار العسكريين الاجانب مع انتشار الوحدات العسكرية المغربية في عموم البلاد ، وعندما تنبه السلطان لمخاطرهم على أمن وسلامة البلاد . حاول التخلص منهم أو من وجود البعثات العسكرية الاجنبية ، ولكن لم يسعه ذلك ، لاصرار الدول البعثات على استبدالهم لاسحبهم⁽³⁾ .

التسليح :

يعد تسليح الجيش المغربي من ابرز مظاهر اصلاح الجيش ، فقد تشطت حركة اقتناء الاسلحة الحديثة في عهد السلطان الحسن ، إذ ارسل بعثات عديدة الى اوربا لهذا الغرض ففي سنة 1875 توجهت بعثات لبلجيكا للتعرف على مصانع الاسلحة وشراء المدافع تمّ شراء 18 مدفع من نوع امسترون "Amstron" لتحسين طنجة ، وفي السنة نفسها اشترت الحكومة المغربية عربات لحمل المدافع من بريطانيا⁽⁴⁾ ، و 6 مدافع من نوع كروب "Krupp" من المانيا خصصت لحماية قلعة الرباط ، وفي مسعى منها لمنافسة المانيا في السوق المغربية عمدت فرنسا الى تقديم هدية للسلطان تمثلت في (2000) بندقية (400) الف خرطوش. إلا أن السلطان يرى ان المانيا اقل خطورة على المغرب من غيرها، ولا سيما

(1) جلال يحيى ، المرجع السابق ، ص 415 .

(2) Abun Nasre, Jamile OP. Cit, p. 294

(3) احمد المكناسي ومصطفى الكوش ، المرجع السابق ، ص ص 76 - 83 .

(4) عبد الحق الميريني ، المرجع السابق ، ص 69 .

فرنسا (1)، وهكذا تمّ إيفاد بعثة مغربية برئاسة الحاج العربي بريشة للتفاوض مع الدور الألمانية ولاسيما دار كروب Krap ومع استمرار رئيس البعثة الدبلوماسية الفرنسية في التقليل من أهمية الأسلحة الألمانية (2). أرسل رسالة إلى وزير الحربية الفرنسية في 21 كانون الثاني/يناير عام 1878 أكد فيها أن السلطان الحسن طلب منه إبلاغ الحكومة الفرنسية تزويد المغرب بالأسلحة الحديثة ، إلا أن فرنسا رغم ذلك لم تتجح في مسعاها لإبعاد ألمانيا عن السوق المغربية (3) ، وفي هذا السياق وصلت بعثة المانية برئاسة أدولف (Adolph) في 14 حزيران / يونيو سنة 1878 لعرض قسم من الأسلحة الألمانية على المسؤولين المغاربة وقد تضمنت قائمة الأسلحة المعروضة: بنادق عيار 160 م ، وبنادق مستعملة ، إلا أن الحكومة المغربية رفضت هذه الصفقة (4) ، رحبت فرنسا من جهتها بموقف الحكومة المغربية الراض لشراء الأسلحة الألمانية ، ورأت في موقفها ما يخدم سياستها الرامية لتحجيم النفوذ الألماني في المغرب من جهة وإنها فرصة لتعزيز وجودها في المغرب من جهة أخرى (5)، ومن جانبها لم تكن تقف ألمانيا مكتوفة الأيدي بعد فشلها في اقناع المغرب بشراء الأسلحة منها ، فقد قام فرديك كروب من زيارة طنجة سنة 1881 إذ اجتمع ببعض المسؤولين المغاربة ، لبحث امكانية اسهام ألمانيا في تسليح الجيش المغربي ، وفي سنة 1883 وصلت بعثة المانية الى المغرب برئاسة مدير داراسن "Essen" وحملت نماذج لقسم

(1) سيدي محمد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 204 .

(2) مصطفى العلوي ، المناورات الاجنبية ضد السيادة المغربية ، الحسن الاول ، ج1 ، المغرب 1986 ، ص ص 83-87 .

(3) ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص ص 384-387 .

(4) محمد المنوني: المرجع السابق ، ص ص 61-69 .

(5) سيدي محمد عبد الرحمن ، المرجع السابق ص 205 .

من مدافع الميدان وهدايا للسلطان الحسن⁽¹⁾ ، اعجب السلطان بالنماذج التي جلبتها البعثة الالمانية ، واصدر أمراً الى نائب بركاش للسفر الى المانيا والتعاقد مع داراسن لشراء دفعة جديدة من مدافع الميدان ، وفعلاً تم الاتفاق بين الطرفين المغربي والالمني في حزيران /يونيو عام 1884 وقعه عن الجانب المغربي محمد بركاش وعن الجانب الالمني بريور بنانكي (Biryour Benlinki) ممثل داري كروب واسن⁽²⁾ ، وقد اتفق الطرفان على ما يأتي:

1) نتيجة لمفاوضات الطرفين تم الاتفاق على صفقة اسلحة بقيمة اجمالية قدرها (2959 فرنك فرنسي، 2) تتكفل الدار بتنفيذ هذه الصفقة في الاجال المتفق عليها ، 3) تتسلم الدار نصف المبلغ المتفق عليه نقداً بعد توقيع الاتفاقية على أن تتسلم الباقي مع التسليم ، 4) تتكلف الدار بأجراء فحوصات السلامة على المعدات الواردة في الصفقة واستبدال أي قطعة اذا ما ثبتت انها غير صالحة للعمل ، كذلك قامت المغرب بتأسيس معمل لصنع البارود في عهد السلطان محمد بن الرحمن وكان يعرف لدى المغاربة باسم "فابريكه الحبة " ⁽³⁾ وفي عام 1890 دخلت عدة تحسينات على هذا المعمل ، فقد جلبت له المواد الاحتياطية من ايطاليا ، وبحسب تقرير صادر عن المفوضة الالمانية في المغرب ، فإن هذا المعمل كان ينتج نوعيه جيدة فقد اعطي بعد التحسينات نتائج ايجابية ⁽⁴⁾ ، وفي سنة 1887 انشئت دار السلاح بفاس بأمر السلطان الحسن على يد الايطالي لوتري والذي انهى العمل فيه عام 1887 وكان افتتاح هذه الدار في مهرجان كبير امام السلطان وقد ورد ذكر الدار في قصيدة للشاعر المغربي الحاج ادريس علي السناني حيث جاء ضمن ذكر الحسن الأول هذا البيت:

(1) جرمان عياش ، مشكلة الاصلاح من زاوية التاريخ ، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية لمغرب ص ص 292-299 .

(2) محمد منوني ، مظاهر يقظة المغرب الحديث ، مجلة تطوان ، المغرب ، (العدد الثاني- 1957) ، ص ص 47-56 .

(3) الفابريكه تعبير اسباني عن المصنع ، الحبة كريبات صغيرة من الرصاص ؛ محمد منوني ، المرجع السابق ، ص 65.

(4) نفسه ، ص 71.

وشيدت دار للسلاح عظيمة وشيدت حبا للعبادة مسجداً (1)

وكانت تشتمل على ثلاثة معامل: الأول معمل صنع البنادق تامة الادوات ، من حديد وعود وغيرهما الثاني معمل صنع الخرطوش ، الثالث معمل لضرب السكة المغربية. وقد استعمل بهذه الدار طلبة البعثة المغربية المتخرجة من مدارس فرنسا وبلجيكا وكان يرأسها الكولونيل الايطالي بريكلف وعلى الرغم من محاولة الحكومة الايطالية تزويد المعمل باليد العاملة إلا أن السلطان حرص على أن يكون كل العمال مغاربة (2) ، وعموماً كان حصيلة ما تم انتاجه حتى 4 كانون الأول/ ديسمبر سنة 1893 كان في حدود (200) بندقية ، وخلال الشهرين اللاحقين زادت كمية الإنتاج بـ80 بندقية .

وفي 11 نيسان / ابريل سنة 1894 وتزامنا مع احتفالات السلطنة بمناسبة عيد الأضحى تم عرض نماذج من الأسلحة المنتجة محلياً ، واستعملت البنادق للرمي في تلك المناسبة (3).

البحرية المغربية

الى جانب الجيش البري انشئ في عهد السلطان الحسن الأول نواة قوة بحرية منظمة تنظيماً حديثاً لتسد الفراغ الذي تركه ضياع الأسطول المغربي أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام ، فاشترى السلطان من أوروبا عدة بواخر وزعها على مراسي المغرب ، بعضها كبير وبعضها صغير لنقل السلع (4) ، كما أوصى على صنع بعض البواخر الأخرى ، فضلاً عما

(1) نفسه ، ص ص 71- 72 .

(2) ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص ص 284-286 .

(3) محمد المنوني المرجع السابق ، ص ص 71- 73 .

(4) نفسه ، ص ص 63- 65 .

تتوافر عليه البحرية من بواخر عددها عشرون ، أربعة بوارج حربية ذات طاقم كبير يسيرها ضباط من ألمانيا وبعض الدول الاسكندنافية وهذه البوارج الاربعة هي (1) :

- 1- البشير: مدرعة بنيت في بريطانيا وتم تدشينها سنة 1899 وهي مجهزة بالمدافع ومهمتها حماية شواطئ الريف .
- 2.الحسني: باخرة مجهزة بالمدافع سلمت للمغرب سنة 1885 بعد ما شيدت في بريطانيا .
- 2- التركي: وهي باخرة صغيرة بالنسبة لسابقتها تم تشغيلها في نقل المدافع الالمانية التي كانت يشتريها المغرب من شركة كروب .
- 3- سيد التركي: وهي الباخرة التي أطلق اسمها على ميناء سلا ولا زال الحي الذي يحمل اسمها موجوداً الى الآن بسلا ، وهي باخرة من صنع ألماني(2). وكذلك كان لدى المغرب عشرة زوارق بالمجاديف وتبعاً للتقاليد المغربية القديمة ، فقد توارثت اسر بكاملها العمل في السلك البحري كأسرة بربطل وبركاش من الرباط ، وأسرة عواودة وفنانشة بسلا ، يضاف لما تقدم بدأ السلطان الحسن الاهتمام بإصلاح الشواطئ وبناء التحصينات عليها ،(3) حتى أنه عين بكل مرسى مهندساً لتفقد قوتها ، والطواف عليها واخبار المسؤولين في اقرب وقت بالصالح منها والمفتقر للإصلاح ، وعين احمد الصويري رئيس قواد المدفعية وساطة بين أولئك المهندسين والسلطان الحسن ، كذلك قام السلطان بالإصلاح أبراج طبنجة ، وبناء خزائنها المعدة للذخائر(4) ، وتركيب مدافعها وقد تم هذا على يد قسم من المهندسين الانكليز بمساعدة الزبير سكيرج المهندس المغربي ، بني المهندس الألماني اوتن بورغ Rotten Bourg البرج الرباطي الذي يسمى بالبرج الكبير ثم عززه السلطان بمدفعين من نوع كروب (5) ،

(1) عبد الهادي التازي ، الاسطول المغربي عبر التاريخ ،مجلة البعث العلمي ، عدد 18- 1982 ، ص ص 460-47 .

(2) مصطفى العلوي ، المرجع السابق ، ص 84

(3) إبراهيم حركات المرجع السابق ، ص 387 .

(4) محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص 64

(5) المنوني المرجع السابق ، ص 65 .

كذلك اهتم السلطان بمدينة الرباط لما لها من موقع إستراتيجي مهم - اهتماماً عظيماً إذ اشترى لها ستة من كبار المدافع من نوع ارم رشونك بانكلترا وأمر بإصلاح جميع أبراجها وجلب لها ما تحتاج اليه من المقومات الحربية من البارود⁽¹⁾ ،

الإصلاحات المالية

1- الضرائب

يرجع تدهور الأحوال المالية في المغرب إلى ما قبل تولي السلطان الحسن الأول الحكم او السلطة فيها ، يرجع هذا التدهور لأسباب عديدة منها الغرامة الحربية الكبيرة التي فرضتها الحكومة الاسبانية على المغرب بعد هزيمته في معركة تطوان 1860. ومنها الكوارث الطبيعية والقحط وقلة الامطار وما يترتب عليها من تدهور الاوضاع المعاشية والاقتصادية للبلد ، فضلاً عن أن البلاد اصبحت نهياً للأجانب الذين تعج بهم البلاد وبأعوانهم⁽²⁾ ، فأزادت الاوضاع تدهوراً ، ولغرض وضع حد لهذا التدهور ، عمل السلطان الحسن على ايجاد مورد مالي ثابت ومنتظم لخزينة الدولة⁽³⁾ ، وذلك عن طريق الاصلاح المعروف بالترتيب وهو نظام جبائي اتخذته الحكومة المغربية في هذه المرحلة لتخفيف العبء الضريبي على الفلاحيين فقد كانت الضرائب الفلاحية تفرض على افراد القبائل من دون مراعاة لما بينها من تفاوت في الشراء ، مما الحق اشد الضرر بالفقراء من افراد هذه القبائل على قدر ما يملكون وهذا ما طبقته الحكومة منذ 1884 وقد شمل معظم القبائل الخاضعة فعلياً للسلطة المركزية ، كقبائل دكاكة والشاوية والقبائل المجاورة بفاس ومكناس وغيرها⁽⁴⁾. لقد استطاعت ضريبة الترتيب ان تحقق بعض النتائج التي توختها الحكومة المغربية ، هذا ما تؤكدته رسالة السلطان الى العامل علي بن حمان الغناوي بتاريخ: 28/ كانون الثاني/

(1) نفسه ، ص 65-66 .

(2) عبد الله العروي ، تاريخ المغرب محاول في التركيب ، ترجمة ذوقان فرقوط ، بيروت 1977 ، ص ص 315-320 .

(3) نعيمة هراج التوزاني ، المرجع السابق ، ص 41 .

(4) نعيمة هراج التوزاني ، المرجع السابق ، ص ص 41-42 .

ديسمبر سنة 1884 جاء فيها ((وصل كتابك معلماً بصلاح امر القبيلة ورجوع من كان منهم خارجاً عن البلد لعمارة محلة بسبب هذا الترتيب المبارك))⁽¹⁾. بل ان اطمئنان قسم من القبائل الى وضعها الجديد جعل بعضها يحاول استرداد ما سبق لقسم من العمال ان ابتزه منها من اموال في مدة سيطرتهم قبل الترتيب. كذلك عملت الحكومة المغربية منذ عام 1881⁽²⁾. بالاتفاق مع الممثلين الدبلوماسيين على اخضاع الاوربيين للضرائب المغربية مقابل اعترافها بملكياتهم، هذا وقد انحاز الهيكل الضريبي المغربي في اواخر القرن التاسع عشر بسيادة ضريبتين مباشرتين هما الترتيب التي احتلت مكان ضريبتي النائية والخراج والضريبة الحضرية⁽³⁾. اما الضرائب غير المباشرة فقد تشكلت اساساً من الضرائب الكمركية والمكوس والتي حددت في عهد السلطان على الوجه الآتي: ضريبة تؤدي عند ابواب المدن، وضريبة السوق التي تقتضي بمناسبة تبادل السلع المحلية⁽⁴⁾. ولتطبيق هذا الاصلاح شرع السلطان الحسن في اعادة تنظيم ادارته المالية فعين محمد التازي اميناً للإمضاء وكلفه بالاشراف على كل ايرادات المغرب ونفقاته⁽⁵⁾.

الاصلاح النقدي

عرف المغرب خلال القرن التاسع عشر انهياراً نقدياً حقيقياً ، قال الناصري عن ذلك (إن العملة المغربية فقدت تسعة اعشار من قيمتها ما بين سنة 1844-1873)⁽⁶⁾.

(1) إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص ص 448-451 .

(2) إبراهيم دسوقي اباطة ، النظام الضريبي المغربي بين الماضي والحاضر ، مجلة المناهل ، المغرب ، ص ص 214-217 .

(3) نفسه ، ص 316 .

(4) نفسه ، ص 318 .

(5) نعيمة هراج التوزاني ، المرجع السابق ، ص ص 45-46 .

(6) الناصري ، المصدر السابق ، ج 9 ، ص 120 .

وفي عام 1877 حدث خلل كبير في العملة داخل الاسواق المغربية ولا سيما في فاس وفي مراكش ويتحدث الناصري عن قلة النقود النحاس الرائجة بمراكش واحوازها وغلاء الريال الفرنسي هناك ورخصه بفاس ، وانه كان يصرف بمراكش بثلاث وستين اوقية مقابل 53 بفاس ، وهكذا بدأ التجار يسحبون فلوس النحاس من مراكش ليصرفوها بفاس ، حيث يربحون في كل ريال نحو مثقال ، وأدى ذلك الى تضرر الفئات الفقيرة ، ثم صدرت تعليمات من السلطان بتحديد قيمة الريال بثلاثة مثاقيل وربع فرخست قيمته ووقع الاقبال على النقود ، فتضرر التجار بهبوط قيمة الريال الى النصف ، فاضطر السلطان الحسن الى اعادة النظر في قراره الذي اصدره في عام 1876 إذ اعاد اثمان البضائع الى السعر التجاري في حين فرض السعر الرسمي بالقوة على مداخيل الرسوم الكمركية ⁽¹⁾ ، فكان لهذا الاجراء اثره بانخفاض ثلث السعر الاسمي العملة الاجنبية المتداولة بالغرب ، قام التجار الاجانب برد فعل قوي حيال هذا الاصلاح واصدروا احتجاجاً في حزيران / يونيو عام 1878 معربين عن رفضهم لهذا السعر الذي حدده السلطان ⁽²⁾ ، وتنفيذاً لذلك تجاهل الاجانب قرار الحكومة المغربية فكانت النتيجة ، أن تصاعد صرف الريال (في الوقت نفسه حتى بلغ 90 اوقية لا سيما في المناطق الداخلية ، وهكذا اصبحت المحاولة الاولى بالاختفاق رغم محاولة الحكومة المغربية انجاحها ⁽³⁾ ، وبعد هذا الاختفاق اتجه السلطان إلى فكرة العمل على ضرب نقود مغربية مماثلة وفي عام 1881 قرر السلطان الحسن ان يسك عملة من الفضة ، ويعطيها مظهراً مماثلاً للعملة الاوربية ⁽⁴⁾ ، ولاسيما الفرنسية وهذه هي التي صارت تعرف بعد ضربها بالسكة او النقود الحسنية التي تتكون من خمس قطع: الريال الحسني ، ونصفه ، ورابعه وعشره الذي وزنه درهم شرعي ، ونصفه العشر ، وقد شرح السلطان تصميم العملة الحسنية الجديدة

(1) سيدي محمد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 82 .

(2) نفسه ، ص 82 .

(3) نفسه ، ص 83 .

(4) ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 439 .

في رسالة بعث بها لنائبه السلطان في طنجة⁽¹⁾....) وبعد: اقتضى نظرنا الشريف ضرب سكة شرعية تتصارف بها رعيتنا في اياتنا السعيدة ، وتكون على كيفية مخصوصة ، وعمل خاص ، موافق للشرع ، مبنى اصلها على الدرهم الشرعي الذي كان في ايام جدنا الاكبر مولاي اسماعيل رحمه الله ، وجدنا الاقدس سيدي الكبير نعم الله روحه ، والمنصور السعدي: وابي الحسن المريني ، وغيرهم من ملوك دول المغرب السالفة ، رحمهم الله جارية على عرف البلد الجاري بين الناس في المعاملات ، والزكاة ، والقسمات ، والفرائض والبيوعات ، والشراءات ونحو ذلك ، وان يضرب منها مقدار عشرين مليوناً من الفرنك الفرنسي⁽²⁾. فكان الدورو الحسني يزن 16.29 غ العوض عن 25 غ. مع احتفاظها بالاطار الديني ، لكن لاسباب تقديرية عامل السكان هذه العملة دون قيمتها الحقيقية ، فبينما هدف الحسن الاول الى جعل الحسني يوازي مثقالاً ، كان المواطنون الذين اعتادوا ان يعطوا الدورو قيمة معينة من الدراهم او الاوقيات يخفضون عن غير قصد ، تخفيضاً كبيراً من الدورو الحسني ، ومع ذلك ، فقلة الكمية المضروبة الرائجة ، جعلت لهذا النقد قيمة مهمة في ظروف لاحقة ، ولاسيما في بيع الصوف والحبوب ، وادى عدم الوضوح في قيمة الريال (الدورو) الحسني الى سحب المضروب منه فيما بين 1891-1895⁽³⁾. كذلك تجاهل الدول الاوربية للقيمة المثبتة للعملة المتداولة ، وتهريب التجار الاجانب لمسكوكات الريال الجديد للخارج ، مما افقد البلاد للمعادن النفيسة .

الاصلاحات الاقتصادية

امتاز الاقتصاد الدولي في القرن التاسع عشر بظواهر وتطورات جديدة ، وأخذت الاختراعات الكبرى مكاناً واسعاً في التقدم الحضاري كالقطارات والهاتف والتلغراف اللاسلكي

(1) محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص 85 .

(2) نفسه ، ص ص 85-86 .

(3) ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 439.

وتقدمت الزراعة الكثيفة بفضل آلات والتصنيع الزراعي وتطورت التجارة والصناعة وانتشرت المصارف وصناديق الادخار واتسع نطاق الملاحة البحرية ، وفي غمرة هذه الطفرات الحضارية كان المغرب يواصل حقبة الركود والاستقرار في وسائله الاقتصادية البدائية كسائر القارة الافريقية⁽¹⁾. فالوضع الاقتصادي للمغرب لم يشهد أي تطور خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، عكس النصف الثاني منه الذي تم فيه ادخال بعض الاصلاحات التحديثية على البنى والهيكل الاقتصادية ، وسنتطرق في هذا المبحث عن اوجه النشاط والاصلاح الاقتصادي في المجالات: الزراعة والصناعة والتجارة.

1- الزراعة

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر اهتماماً بالزراعة ، ولاسيما على يد السلطان محمد الرابع الذي سعى الى زيادة مساحة الاراضي الزراعية المروية عن طريق تجديد القنوات واستغلال المياه الجوفية ، حيث عمد الى تجديد وشق القنوات الري ، ولتشجيع المواطنين على الزراعة ، استورد البذور ووزعها على الفلاحين⁽²⁾ ، ولما كان القطن والسكر يشكلان العمود الفقري في قائمة الواردات فشجع زراعة هذين المحصولين ، ونظراً لاهمية القطن في المبادلات التجارية فقد حاولت بريطانيا تدفع بالحكومة المغربية الى اصدار قانون يعترف للاجانب بحق امتلاك الاراضي ومن ثم تأمين فرص امام المستثمرين البريطانيين في الميدان الزراعي ، في الحصول على امتيازات لزراعة القطن في المغرب ، وفي عام 1865 شهدت زراعة القطن تراجعاً ملحوظاً ، وعلى الرغم من هذا التراجع في انتاج القطن في السنوات التالية فإن الحكومة المغربية استثمرت في تطوير القطاع الزراعي كجزء من سياستها الاصلاحية⁽³⁾ ، ولاسيما بعد تحسين الاوضاع الاقتصادية ووفرة الامطار ،

(1) ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 494 .

(2) نفسه ، ص 496 .

(3) Jen- Louis miege, Lemaroc et L'erope (1830-1894) tom 3, P. 126.

ساعدت على زيادة المحاصيل الزراعية ، وخاصة الحبوب والقطن حيث استطاعت الحكومة المغربية في عهد السلطان الحسن⁽¹⁾. أن تزيد من المساحات المزروعة وخاصة زراعة القطن التي كان لها استراتيجيتها الاقتصادية ، بحيث شملت منطقة الحوز فحققت بذلك فائضاً بالانتاج الزراعي سواء المنتجات القطنية او غيرها من المنتجات الزراعية الاخرى كالقمح والشعير وغيره⁽²⁾. وعلى الرغم من الكوارث الاقتصادية التي كانت تحل بالبلاد على فترات متقاربة احياناً ، ومع اندلاع حروب اهلية على الصعيد المحلي فإن الاهتمام باستغلال الارض رغم بدائية الوسائل كان شاغل الاغلبية من السكان الذين تضمهم البادية ، واذا كانت سهول الحوز والغرب والسوس واحواض الانهار وسفوح الجبال تساهم في ضمان انتاج زراعي غير متكافئ ولكنه وفير في الغالب⁽³⁾ ، وابتداء من سنة 1885 جاء سقوط الامطار ، عاملاً مساعداً على زيادة المحاصيل الزراعية ومن ثمّ ازدياد اخضرار البلاد ، ونمو المرعى اللازم للبهائم ، مما ساعد على امتلاء المخازن بالحبوب والغلل ، فساعد على انخفاض اسعارها ، كما ساعد على زيادة رؤوس البهائم والمواشي والاغنام ، وساعد هذا على رخاء وازدهار البلاد فتمكن المغرب من التصدير من جديد ، وباسعار معقولة يمكنها من منافسة الاسعار الاوربية ، وزادت هذه العملية من ارباح المخزن ولاسيما الضرائب والرسوم على عمليات التصدير التي سمحت له بالانفاق على عدد من مشاريع الإصلاح⁽⁴⁾ ، وهكذا حققت الحكومة المزيد من التحولات في المغرب كبلد زراعي بالدرجة الاولى ، موفرة لمشروعها ، الاستراتيجية قسم من الآلات والاساليب الحديثة من اساليب الري واستصلاح الاراضي مما ساعد في انتاج سلع محلية وتطوير مرافق اخرى في الحياة المغربية⁽⁵⁾.

(1) جلال يحيى ، المرجع السابق، ص 412 .

(2) ابراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص ص 496-502 .

(3) جلال يحيى ، المرجع السابق ، ص 446 .

(4) جلال يحيى ، المرجع السابق ، ص ص 460-461 .

(5) عبد العزيز بن عبد الله ، المرجع السابق ، ص ص 67-77 .

2- الصناعة

على الرغم من وجود ثروات معدنية ذات أهمية كبيرة من بينها الحديد والرصاص والذهب والفضة والقصدير والنحاس ، في منطقة الريف ، ومناطق الجنوب ولاسيما درعة والسوس لكنها كانت تستغل جزئياً وبوسائل بدائية ، كما أن الصناعات التي تعتمد عليها هي على العموم صناعات يدوية تتركز في عدد من المدن ، فكانت مدينة فاس اكبر مدينة للصناعات اليدوية وكانت تنتج حوائك الصوف وهي ثياب من قطعة واحدة واغطية الرأس وتضع من الحرير كما تصنع الطرابيش وكذلك ثياب الكتان والسروج والاولاني النحاسية والحلي والمصوغات الذهبية وعلى الرغم من وجود عدد من المواد الخام في البلاد المغربية (1) ، فبعضها كان يستورد من اوربا كالحديد الذي كان يأتي عن طريق العرائش او تطوان ، وكانت العرائش تصدر الصوف والجلود الى جانب المواد الزراعية ، وبدأت تطوان تحتل مكاناً مرموقاً في الصناعات اليدوية فكانت تمون الجيوش والمخزن بحاجياته من الخيام وملابس الجيش (2) ، وتنتج الالات الحديدية كصفائح الخيل والمسامير ، وهكذا بقية المدن المغربية التي تتركز فيها بعض الصناعات التقليدية والى جانب هذه الصناعات تتحدث بعض المصادر عن قيام صناعات حديثة في المغرب تم انشاؤها في عهد السلطان محمد الرابع والحسن الاول(3). وكان أهمها:

أ. معمل السكر

أسس هذا المعمل السلطان محمد الرابع حيث جلب له اختصاصيين من اوربا لبنائه ، وقد كان يشتغل فيه عمال اوريبيون بعصر قصب السكر وتصفيته ، في 18 تشرين الأول

(1) ابراهيم حركات ، المرجع السابق، ص 502 .

(2) نفسه ، ص 503 .

(3) ابراهيم حركات، المرجع السابق ، ص 503.

أكتوبر سنة 1862⁽¹⁾. وعندما جاء الحسن الأول الى الحكم قام بمحاولات اصلاحية شملت الجانب الصناعي ومنها هذا المعمل ، فهناك رسالة حسنية مؤرخة في 22 آذار سنة 1892 وهي تتعلق بتكليف المهندس عبد القادر العليج بإدارة وتطوير هذا المعمل بدلاً من مديره السابق ، وهذا نص الرسالة ((خديمنا الارضي ، المحتسب ، مولاي عبد الله البوكيلي ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله. وبعد: فقد كلفنا المهندس عبد القادر العليج بمقابلة مكينة السكر ، عوضاً عن عبد الله العليج المتوفي ، فتأمرك بالحضور أنت ، والوصيف وبده ، والخديم الحاج ادريس بن جلون الفاسي ، واحصاء ما فيها من الالة الان: سواء الغليظة والرقيقة ومقابلته مع تقييد ما كان بها حين تكليف العليج المتوفي ، وبيان الفرق بينهما واين ذلك الفرق ، وادفع ذلك لعبد القادر المذكور بأشهاد عليه بعد توجيه تقييد واذكر لشريف حضرتنا ، وبيان ما تلاشى منها من الطرنبات وموازين ونحو ذلك...))⁽²⁾. ومن تاريخ هذه الرسالة نتبين بان المصنع استمر قائماً حتى اواخر عهد السلطان ، الحسن الأول ، وبالفعل اسهم هذا المعمل في سد حاجة السوق المغربية من مادة السكر حتى اواخر القرن التاسع عشر⁽³⁾.

ب. معمل القطن:

هذا المصنع تأسس ايضاً في عهد السلطان محمد الرابع ، حيث كان مقره ، في مدينة مراكش ، اما في عهد السلطان الحسن ، فقد تم تطوير هذا المصنع وجلب له الالات الحديثة واهتم بأمر تعيين المشرفين على إدارته ، وهذه رسالة من الحسن الأول في شأن توجيه تاجر اسباني لمراكش ، للقيام بتفتيش معامل "السكر" "والقطن" "والخرطوش" وهي بتاريخ 1891⁽⁴⁾ .

(1) محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص 76 .

(2) نفسه ، ص ص 77 - 78 .

(3) سيدي محمد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 229.

(4) محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص 76.

وهذا نصها ((خديمنا الارضي ، المحتسب ، مولاي عبد الله البوكيلي ، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد: وجهنا حامله التاجر خيم طور الصنبولي لرؤية فابركات 3: السكر والقطن والقرطوس ، التي هناك وتقليبها ، وتقيد التي وجدها كاملة غير خاص منها شيء من الآلتها ، والتي وجدها غير كاملة خاص من الآلتها ، وبيان الخاصة منها ، وهو يصير على نفسه في سفره ومقامه هناك واياه ، فنامرك ان تتوجه معه بنفسك لمحال الفابركات المذكورة ، وتقف منها حتى تقيد ذلك على نحو ما ذكر ، والسلام ، ...))⁽¹⁾ .

3- طاحونة بخارية

قام الحسن الاول في الشروع بنصب طاحونة بخارية بمدينة مراكش ، ويحدد موقعها بانها كانت تقوم بالجهة العليا من مشهد سيدي عمارة ، إذ تم بناء جهاز خاص بطحن الحبوب ، لفائدة السكان ، وفيما يلي نص الرسالة الحسنية الى محتسب مدينة مراكش المؤرخة في عام 1884 .

((خديمنا الارضي ، المحتسب ، مولاي عبد الله بن ابراهيم البوكلي ، وفقك الله وسلام الله عليك ورحمة الله ، وبعد: وصل كتابك مبينا تام النجاة (كذا) في خدمة مكينة الطحن والتابع له واستقامة امرها.... وأن اعتذرت عن استعمار المكينة لحصب فقد بينا لك مستفاد المكينة

نعم لا يطحن فيها لدارنا العالية بالله الا عند الضرورة ، وانما يطحن لها بالارحى ، كما ان المكينة ، لا تبطل ويطحن فيها لسائر الناس لتوجد عن الاحتياج اليها على اكمل وجه)⁽²⁾ .

(1) الوثائق ، المصدر السابق ، ج4 ، وثيقة رقم 172 .

(2) نفسه ، ج4 ، وثيقة رقم 318 .

محاولة استخراج المعادن

كان السلطان الحسن الاول مقتنعاً بحاجة البلاد الى الصناعة ، فقد قام بخطوات في هذا المجال منذ سنة 1878 إذ أمر حاجبه موسى بن احمد ليستفهم من "هاي" عن كيفية استخراج المعادن والافادة منها ، وقد استجاب هاي للسلطان وقدم شرحاً عن ذلك وموصياً بضرورة اختيار مختص يقوم بالبحث عن المعادن في البلاد وتحديد امكانها⁽¹⁾ ، تم اختيار مهندس انكليزي ، والذي تمكن سنة 1881 من اكتشاف منجم للفحم قرب طنجة⁽²⁾. ومع بداية عام 1883 حاول المخزن استغلال الفحم لتعزيز مداخلية ، كما يتضح من رسالة سلطانية موجهة الى النائب بركاش جاء فيها((..... فقد كتبنا لك مراراً باشهار معدن الفحم... والشروع في خدمته ، والى الان لم يظهر منك اثر في ذلك مع انك عارف بقلّة المدخول وكثرة المصاريف ، واستدعاء الحال الى جلب ما فيه نفع من ذلك وغيره لبيت المصاريف ، واستدعاء الحال الى جلب ما فيه من ذلك ، وغيره لبيت المال، وعليه فاشرع في خدمة بالفعل من غير توان....)) تزايد مطالبة رجال الاعمال من الانكليز وغيرهم للحصول على امتياز استخراج الفحم⁽³⁾ ، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ اسماعيل العلوي ، فيقول جهد السلطان الحسن الاول في استغلال الاراضي المغربية واستخراج كنوزها وخيراتها الكثيرة لمصلحة الدولة والشعب ولما استطار ذكره ارسلت الدول في هذا العدد تطلب وده وترغب في صداقته وتتمنى تمتين روابط المغرب معها وتلتمس منه السماح لها باعانة المغرب الاستفادة من خدماتها الفنية ، ولكن السلطان الحسن كان يعارض كل المعارضة بعد الاستشارة مع قادة الامة المغربية التي هي موكلته خوفاً من ان ينتهي ذلك بتدخل الاجانب الغاصبين واستيلاءهم على المغرب⁽⁴⁾. عدلت الحكومة المغربية في تلك الاثناء عن

(1) سيدي محمد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 231 .

(2) عبد العزيز بن عبد الله ، المرجع السابق ، ص 68 .

(3) سيدي محمد بن عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 231 .

(4) اسماعيل بن محمد العلوي ، المرجع السابق ، ص 149 .

التعامل مع الاجانب بخصوص استخراج المعادن ، محاولة الاعتماد الامكانيات الذاتية (1) ، وفي هذا السياق جاء تكليف قدور الفلاح في سنة 1885 باستغلال منجم الحديد قرب مدينة جبل الحديد وكذلك منجم الرصاص والنحاس جنوب تارودانت ، إلا أن النتائج كانت لا ترقى الى المستوى المطلوب نظراً لقلة الفنيين المغاربة ، فضلاً عن تواضع الوسائل اللازمة الاخرى ، ورغم تعدد الجهود في ميدان الاقتصاد الصناعي فإن انحصرت في مصانع انتاج الاسلحة والمنسوجات ، بما لها من اهمية في ميدان التجارة الخارجية (2).

الاصلاح التجاري

*التجارة الخارجية

لقد تغير الاقتصاد الاوربي نفسه في تلك الحقبة التي كان يقع فيها التغيير في المغرب وزادت الحاجة الى المواد الاولية وكذلك الحاجة الى الاسواق اللازمة لتصرف المنتجات والمصنوعات ، كما زادت اهمية البحر المتوسط نتيجة لبدء العمل في حفر قناة السويس سنة 1869 وأثّر ذلك على اهتمام اوربا بالمغرب ، ولاسيما وانه يحتل موقعاً استراتيجياً مهماً يتحكم في هذا البحر (3) ، ولما كانت المواصلات تعد العنصر الاساس في تنشيط الاقتصاد عموماً والتجارة على الخصوص ، فقد بدأت الحكومة المغربية تفكر فعلياً في إقامة بعض المشاريع في هذا الصدد كبناء الجسور وشق الطرقات (4) ، فضلاً عن إصلاح الموانئ القديمة وبناء موانئ جديدة ، كميناء الصويرة وميناء اسفي في مراكش وميناء طنجة وغيرها من الموانئ المغربية نظراً لأهميتها فيما يخص عملية التبادل التجاري

(1) ابن عبود ، المرجع السابق ، ص ص 88-90 .

(2) سيدي محمد بن عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 233 .

(3) جلال يحيى ، المرجع السابق ، ص 391 .

(4) عبد العزيز بن عبد الله ، الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية ، معلمة المدن والقبائل ملحق (2) المغرب ،

1977 ، ص 41 .

بين المغرب وأوربا ، ولاسيما ميناء طنجة الذي أصبح في سنة 1876 يتوافر⁽¹⁾ على رصيف لنزول المسافرين وتفريغ البضائع ، فضلاً عن ذلك فقد تم انجاز رصيف آخر مجهز برافعة ائقال بالرباط ، كذلك تزويد قسم من الموانئ بجزارات لمساعدة السفن على عبور الحاجز وأيضاً بناء ارصفتها وقسم من المنارات⁽²⁾ ، وفي عام 1886 وخلال زيارة السلطان الحسن الأول للسوس حاول جعل حد للتجارة في رأس جوبي ، وذلك بفتح ميناء على نهر اسكا وهو ميناء اسا بالسوس في جنوب المغرب⁽³⁾ ، كذلك أبدت الحكومة المغربية اهتماماً كبيراً في توفير المخازن لإيداع السلع الموجهة للتصدير او استقبال المواد المستوردة في هذه الموانئ ، فانعكست تلك الجهود على الوضع التجاري ، فبدأت التجارة الداخلية والخارجية تعرف نشاطاً أكثر وضوحاً وتنظيماً خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر⁽⁴⁾. وعلى الرغم من ذلك الانفتاح المغربي مع أوربا إلا انه لم يكن تصاعدياً باستمرار نتيجة لسنوات القحط وما شهدته المحاصيل من انخفاض ، الأمر الذي انعكس على كمية مستوى الصادرات والواردات ففي 1875-1877 كانت من بين الأفضل فيما يخص المغرب إذا ارتفعت المبادلات التجارية بازدياد الصادرات إذ بلغت (60) مليون فرنك خلال السنوات: 1871-1873 ، وهو رقم قياسي لم تبلغه من قبل ، وبعد سنة 1874 حافظت على حدود 58 مليون فرنك ، وبعد ذلك ارتفعت المبادلات التجارية ، وبدأت الأسعار تزحف نحو الزيادة خلال السنوات 1875-1877 ، ومما ينبغي الإشارة إليه أن هذا التقدم في الصادرات تركز حول الصوف والحبوب إما فيما يخص الذرة الصفراء⁽⁵⁾ ، ما قيمته أكثر من: 9434000 فرنك ، وظلت بريطانيا واسبانيا والبرتغال من أهم المشترين للذرة الصفراء ، فالمواسم الزراعية

(1) جلال يحيى ، المرجع السابق ، ص 392 .

(2) جلال يحيى ، المرجع السابق ، ص 466 .

(3) عبد العزيز بن عبد الله ، الموسوعة المغربية ، معلمة الصحراء ، ملحق (1) ، ص 26.

(4) Bidell,, Op. Cit, P.95 .

(5) سيدي محمد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ص 242-244 .

السيئة في أوربا: 1872-1873 شجعت الصادرات المغربية من الحبوب ، حيث تضاعفت المبادلات التجارة فيما يخص المواد الزراعية مع زيادة الأسعار ، وهكذا كان الرخاء الاقتصادي سبباً ونتيجة في الوقت نفسه لعملية الإصلاح التي سارت عليها الحكومة المغربية ⁽¹⁾ ، وكما زادت صادرات المغرب تزايد وصول السلع الأوربية إلى المغرب حيث كانت واردات البلاد من السكر والشاي والمنسوجات القطنية ، وهكذا كان الازدهار الاقتصادي المغربي في صالح التصدير إذ استعادت التجارة الخارجية مكانتها التي كانت عليها من السنوات (1871-1877) فتركزت الصادرات المغربية ابتداء من سنة 1886 على الجلود والأصواف والحلفا و التمرور والصمغ والقمح والشعير ، وتقدر هذه المواد بالملايين من حيث الوزن او القيمة. مما ساعد على توافر إمكانيات مالية ، مكنت الحكومة من توفير جانب كبير من ميزانيتها التي كانت تخصصها المشتريات من الأسلحة وتكاليف البعثات التي تدرس في الخارج ⁽²⁾.

التجارة الداخلية

فقد حافظت التجارة الداخلية على أسواق المدن والأرياف وممارسة نشاطها بشكل طبيعي بل انها صارت تستوعب كمية من المنتجات المحلية ، كذلك استيعابها المعظم المواد التي تجلب من الصحراء بواسطة القوافل عن طريق إفريقيا الغربية إذ هناك طريقان يتصلان معاً تومبكتو احدهما من تافيلالت ويمر عبر دادس التي تمتد بها حقول القمح والشعير والفواكه ⁽³⁾ ، والآخر من وادي نون مروراً بالصحراء الغربية واهم الصادرات المغربية ، الملح والتبغ والجلود والتمر والمنسوجات ، وتصحبها صادرات أوربا التي تمر عبر الطرق الإفريقية الداخلية، ويؤدي السودانيون اثمان البضائع ذهباً او سبائك ذهبية او ثياباً قطنية زرقاء ،

(1) سيدي محمد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 243 .

(2) نفسه ، ص 244 .

(3) إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص ص 506-508 .

وضمن القوافل يوجد عدد من تجار فاس وسوس وغيرهم ، وكما يقيم في تومبوكتو فاسيون ويهود قدموا من المغرب (1) ، وبدأت هذه التجارة بين المغرب والمراكز التجارية جنوب الصحراء ولاسيما تومبوكتو تشهد تراجعاً منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ويرجع ذلك الى عدة عوامل من اهمها:

- 1- انعدام الامن في طرق تلك القوافل الناتج عن ضعف نفوذ الحكم المغربي هناك.
- 2- زيادة الفارق بين تكاليف النقل البحري ونقل القوافل ، وتوجه الحجاج نحو البحر.
- 3- استيلاء فرنسا على الصحراء (2) .

الحياة الاجتماعية والثقافية

1- الحياة الاجتماعية

لقد تركت بعض الازمات الاقتصادية التي عرفها المغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كآزمة عام 1878-1884 قد احدثت تغيرات اجتماعية كبيرة في البلاد ، نتيجة لانخفاض مستوى معيشة البعض ، وتحقيق البعض الآخر لأرباح كبيرة وطائلة فقد زادت هذه الازمة في حجم البطالة (3) ، ومن ثم اثرت على اجور العمال وفي الوقت الذي لم تزد فيه مرتبات الموظفين ، كما ان الضرائب لم تخفض في قيمتها ، واشتهر المخزن في جمعها فأدى الى انتشار البؤس بين العمال وصغار الفلاحين ، كذلك عملت الالوية والمجاعات وحدها على خفض عدد سكان المغرب بنسبة تصل 15% ، ولاسيما وباء عام 1878 (4) ، مما ادى الى وقف الاصلاحات بسبب هذه الالوية التي اجتاحت البلاد من جهة (5) ، ومن جهة أخرى فإن اهمال المخزن للجانب الصحي دفع الهيئات الدبلوماسية

(1) نفسه ، ص 508 .

(2) سيدي محمد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 238 .

(3) جلال يحيى ، المرجع السابق ، ص 443 .

(4) نفسه ، ص 444 .

(5) محمد امين البزاز ، قراءة في ظهير المولى الحسن الذي إذن فيه للهيئات الدبلوماسية بطنجة بممارسة دور الدركي

الصحي في الموانئ المغربية ، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية ، المغرب ، ص ص 309-311 .

المعتمدة بطنجة الى تأسيس مجلس صحي دولي ، وكانت مهمته منحصرة في الواجهة البحرية وتقتصر على مجرد فرض مراقبة صحية على السفن الواردة إلى المراسي المغربية غير ان المجلس سرعان ما وسع نطاق نشاطه الى الشؤون الصحية الداخلية للمدينة⁽¹⁾.

عما كانت تحدثه الاوبئة من فتك ذريع بالسكان ، يشمل احياناً نسبة مهمة منهم فأنها كانت تستنزف امكانيات البلاد المادية⁽²⁾. وتوجه ضربات قاسية للمداخل الكمركية ، وهي الموارد الرئيسية لخزينة الدولة ، ومنها ما كان المخزن يمول مشاريعه الاصلاحية⁽³⁾ .

ومن ناحية اخرى فإن هذه الازمات ساعدت على التحسن الملحوظ في الوضع الاقتصادي لبعض الفئات الاخرى ولاسيما منها الحضرية التي يتركز نشاطها في استيراد المواد الاساسية كالحبوب والزيوت والمتاجرة بها⁽⁴⁾. وسرعان ما انعكس هذا الوضع على الحياة الاجتماعية سلباً ، لأنه ساعد على ازدهار المدن الساحلية ، فأصبحت الانشطة الاقتصادية ولاسيما التجارية منها في يد عائلات من كبار التجار ، ومن ثم تحالف الحكومة مع الفئة التجارية الحضرية والتي تنتج عنها برجوازية حكومية داخل الجهاز الحكومي⁽⁵⁾ ، فكانت هذه العائلات (البرجوازية) الحكومية تستند على قاعدتها الاقتصادية الذاتية ، كذلك محاولة الحكومة ان تكسب بعض الفئات الاجتماعية ذات النفوذ ولاسيما قسم من الطرق الصوفية⁽⁶⁾ .

(1) Graham H. Stuart, The International city of Tangier , Second Edition, California, 1955, P. 23.

(2) محمد امين البزاز ، المرجع السابق ، ص 309 .

(3) نفسه ، ص 311 .

(4) جلال يحيى ، المرجع السابق ، ص ص 443-444 .

(5) جرمان عياش ، دراسات في تاريخ المغرب ، الرباط ، 1986 ، ص ص 189-193 .

(6) روم لاندو ، تاريخ المغرب في القرن العشرين ، ترجمة نقولا زيادة ، ط2 ، بيروت 1980 ، ص 137 .

كان للطرق الصوفية (1)، دور متميز ونفوذ واسع في الحياة السياسية والدينية والاجتماعية في كل المغرب العربي ، وقد شعر بهذه المكانة كل من السلاطين المغاربة والقوى الاجنبية الطامعة في البلاد ، لذا سعى الطرفان معا للظفر بتأييدهم ومساندتهم ، إلا ان مما كان يعترض سبيل الاشراف ، الموقف المعادي للصوفية منهم منذ مجيئهم واستقرارهم واحة تافيلالت (2) ، وبما ان الطرائق الصوفية كانت هي المسيطرة على السلطات المحلية في المغرب فإنها كانت عقبة كأداة في طريق توسعهم (الاشراف) ومن ابرز الطرائق الصوفية هي الطريقة الوزاني (3) ، والتي كان شيخها عبد السلام بن العربي الوزاني يأتي بالمرتبة الثانية بعد السلطان لكونه شريف من اقربائه ذي نفوذ اوسع في شمال المغرب وفي الجزائر وكان السلطان يعتمد عليه في الكثير من المهام الرسمية داخل البلاد وخارجها ، وفي هذا الصدد كان السلطان الحسن الاول في اثناء جولاته الداخلية يقوم بزيارة قسم من الاضرحة ويأمر بترميمها ويثني على قسم من مشايخ الطرائق كالشيخ ماء العينين (4) الذي

(1) الطرق الصوفية: تعد هذه الطرق من الملامح الهامة في التاريخ المغربي وقد ازدهرت في القرن الحادي عشر ، بالنظر لتوسعها ونفوذها في المجتمع فهي لا تكاد تفصل العمل/ الديني عن العمل السياسي ، ومواقفها ليست موحدة ، فمنها التي تميزت بمعارضة المخزن ، والتي اتجهت لمناهضة الاستعمار بشكل ما ، وبينها التي اتخذت موقف الاعتدال ، او اللين تجاه المخزن ، والوجود الاجنبي ، المزيد من المعلومات عن الزوايا وموقف السلطة منها ؛ انظر: ابراهيم حركات ، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب ، حلال قرنين ونصف قبل الحماية ، الدار البيضاء ، 1985 ، ص 56-71 ؛ ابراهيم حركات ، السياسة والمتجمع في العهد السعودي ، الدار البيضاء 1987 .

(2) منسي شرموط المسلط ، المرجع السابق ، ص 378 .

(3) نشأت الاسرة الوزانية في وزان شمال المغرب ، وهي اسرة شريفة عريقة في نسبها ، ويعد كبيرها ذات سلطة دينية ودينية واسعة ، واكتسبت هذه الاسرة شهرتها منذ ايام السلطان اسماعيل في القرن الثامن عشر تبعاً للتقاليد المتبعة حين ذاك في تنويع سلاطين المغرب ، إذ لا يكتسب حكمهم الصفة الشرعية إلا بعد اجراء مراسيم التنويع التقليدية ، والمستندة إلى قيام كبير الاسرة الوزانية بمسك ركاب الجواد عند ما يعتليه السلطان ، ويعد ان اقتضت الوزانية في بداية الامر على الشؤون الدينية ، اصبحت اواخر القرن التاسع عشر تتدخل في الشؤون السياسية للمزيد انظر: ابراهيم حركات المغرب عبر التاريخ ، ص 563.

(4) يعتبر الشيخ ماء العينين اسد الصحراء ورئيس المجاهدين فيها والذي يرجع اليه في الامور الدينية والدينية فكان صلة الوصل بين ملوك المغرب وقبائل ماوراء الرأس الابيض فكان يقود تلك القبائل الصحراوية للدفاع ضد الاحتلال للمزيد

ساعده على توطيد نفوذه في الجنوب المغربي ، كذلك احيائه لقراءة تسابيح الطريقة الشاذلية ، وقراءة البردة في كل جمعة بالضريح الادريسي واکرام القائمين بذلك علنا ، كما أن من الاسباب الداعية الى استعماله هذه الطرائق الدور الذي تقوم به في الاشراف على عقد البيعة للسلطان ، والتوسط في النزاع الذي يحدث احيانا بين بعض القبائل والجهاز الحكومي .

2- التعليم :

يرجع اول اتصال للمغرب بالتعليم الحديث الى عهد السلطان عبد الرحمن ابن هشام ، ثم استمرت من بعده الى عهد السلطان الحسن الاول فكانت حركة انبعاثية هدفها انعاش دراسة العلوم الرياضية والعسكرية ، وتقريبها من الدراسات الحديثة ،⁽¹⁾ اما الاساتذة الذين قام على ايديهم هذا الانبعاث ، فقد كان معظمهم مغاربة والى جانب هؤلاء كان هناك قسم من الاساتذة وفدوا من الخارج وقد تمثلت هذه اليقظة في:

1- الحساب والفلك والهندسة

ان هذه الدروس كانت اول مظهر لهذه الحركة ففي مدينة مكناس ، امر السلطان الحسن عاملها باختيار عشرة من نجباء طلبة الجيش ، لقراءة الحساب والتوقيت على ميقاتي هذه المدينة⁽²⁾.

اما في الرباط وسلا: ويامر السلطان الحسن صار يقوم بتعليم الحساب والهندسة بهذه المدينة .

من المعلومات عن هذه الشخصية أنظر: احمد عبد السلام البوعياشي ، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال ، ج1، طنجة 1974 ، ص 399-402 .

(1) محمد بن عبد السلام بن عبود ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 95 .

(2) محمد المنوني ، المرجع السابق ، ص ص 97-99 .

وهناك رسالة صادرة عن السلطان الحسن الى عامل سلا ، وفيها ان نفس الاستاذ كان مكلفاً باقراء الهندسية بسلا مع طلبة العدوتين (1).

2- المدرسة الحسنية بطنجة

تأسست هذه المدرسة بأمر من السلطان الحسن الاول في عام 1876 في طنجة وكانت المواد التي تدرس في هذه المدرسة هي : الحساب- والهندسة- والتنجيم- والجغرافية- واللغة العربية- والمبادئ الدينية الاولى- واللغات الاجنبية. والغالب ان هذه المدرسة كانت تكميلية ، إذ يقع بها اعداد طلبة مدرسة المهندسين (2) ، الذين سيذهبون لاكمال دراستهم بأوروبا وهذه رسالة من السلطان الحسن الاول ورد فيها اشارة لهذه المدرسة: "وصيفنا الارضي ، القائد الجيلاني ابن حم ، وفقك الله وبعد (فقد وجهنا صحبته خمسة عشر من النجباء الطلبة ، بقصد التوجه لبر النصارى لتعليم المدفعية والهندسة ، وغير ذلك من امور الحرب ، بعد تعلم الكتابة واللسان بطنجة ، ليسهل عليهم مباشرة التعلم ببر النصارى ، وامرنا خديمنا الطالب محمد بركاش بان يقر كل فريق منهم بالمحل الذي يناسب حتى يتعلموا ذلك) (3).

3- ظهور الطباعة

ظهرت الطباعة في المغرب ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث جلبت اول مطبعة من مصرفي سنة 1865 ومعها خبير مصري ، في فن الطباعة وهو محمد القباني في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن ، وبدأت العمل في مدينة

(1) المصدر نفسه ، ص 99 .

(2) محمد المنوني ، المصدر السابق ، ص 99.

(3) المصدر نفسه ، ص : 100 .

فاس.⁽¹⁾ وكانت تحمل اسم (المطبعة السعيدة) او (المطبعة المحمدية) ثم اصبحت تعرف باسم المطبعة الفاسية في عهد السلطان الحسن الاول ونسبة لمدينة فاس التي كانت تنفرد بانها ادخلت اول جهاز في المغرب وقد سميت أيضا بالمطبعة (العامة)⁽²⁾، وقد حل الطيب الازرق محل الخبير المصري بعد تخريجه في دراسة فن الطباعة وانه وأخاه العربي قد احدث كل منهما مطبعة ، وقد تم طبع بعض الكتب في هذه المرحلة مثل تحرير اصول الهندسة ، تأليف نصير الدين الطوسي ، وكتاب الاحياء للغزالي وقد تلقت الحكومة نحو مائتي (200) نسخة من المطبوعات في هذه المدة ، سلم نصفها الى مكتبة القرويين⁽³⁾ ، هذا فضلاً عن مدينة فاس ، فان طنجة هي الاخرى عرفت بدورها الطباعة وان كانت لغرض طبع قسم من الصحف التي ظهرت في ذلك الوقت .

الصحافة

يعود ظهور الصحافة المغربية الى العشرينيات من القرن التاسع عشر والتحديد سنة 1820 إذ صدرت الجريدة لاول مرة بالمغرب في سبتة ثم في تطوان ، ففي سبتة اصدر الاسبان وباللغة الاسبانية جريدة المتحرر الافريقي سنة 1820 ثم الصدى الدستوري سنة 1821⁽⁴⁾ ، فقد صدرت جريدة صدى تطوان باللغة الاسبانية ايضا في سنة 1860 ثم مخبر تطوان في السنة نفسها، اما الصحافة العربية فانطلقت لأول مرة من طنجة في عهد السلطان الحسن الاول باسم جريدة المغرب سنة 1889⁽⁵⁾ ، ثم ظهرت جريدة السعادة على

(1) جرمان عياش ، دراسات في تاريخ المغرب ، ص ص 122-142 .

(2) ابراهيم حركات ، التيارات السياسية والفكرية ، ص ص 125-136 .

(3) جامع القرويين من اقدم الجامعات العربية في العالم الاسلامي ، وقد تأسس عام 859م ، وتولى دراسة العلوم الدينية واللغة العربية وادابها ، للمزيد من المعلومات انظر . انور الجندي ، المصدر السابق ، ص ص 38-39 ؛ عبد الهادي

التازي ، تاريخ المغرب ، جامع القرويين ، المجلد الاول ، بيروت 1972 .

(4) ابراهيم حركات ، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب ، ص 138 .

(5) المصدر نفسه ، ص 138.

يد البعثات الفرنسية الدبلوماسية⁽¹⁾ ، كذلك جريدة عين طنجة بالفرنسية ايضا ، كذلك صدرت جريدة الوقت بالانكليزية في شباط /فبراير سنة 1885 كذلك جريدة المغرب الاقصى بالاسبانية في كانون الثاني /يناير سنة 1885 ، اما جريدة المغرب ، فإن الذين تولوا ادارتها افراد من الجالية العربية في المغرب وهم مسيحيون لبنانيون تحت اسماء مستعارة منها عيسى- كلاوجي- كسباني إذ جاء في افتتاحية العدد الاول " اذا كانت هذه البلاد مفتقرة الى جريدة عربية اللغة والمشرّب لنشر الانباء الحقيقية⁽²⁾ والحقائق العلمية والاستنباطات المستحدثة الصناعية التي من شأنها ترقية منزلة الدولة ، بان تثير في رؤوس أهلها نار الحمية العربية وتدب فيهم النخوة الوطنية وتنهض الهمم الرجال ، من حضيض الاهمال الى التدرج في مراقي الكمال لكي يسعوا في اصلاح حالة بلادهم....)) لقد كان لهذه الجريدة العربية تأثير في الاوساط المثقفة داخل الحكومة وخارجها وفي اوساط القرويين تلك الاوساط التي كانت تتداول ما ياتي من المشرق من الصحف والمجلات وكتب ، إذ كانت اهم الجرائد العربية التي تصل المغرب آنذاك هي جريدة الاهرام⁽³⁾.

وهكذا قد استعرضنا اهم جوانب الاصلاح والتحديث التي شملت جميع الميادين: الادارية والعسكرية ، والاقتصادية والتي استطاع السلطان الحسن الاول تنفيذها على الرغم من المعارضة الاجنبية ، إلا ان كل محاولات الاصلاحية والتي قام بها السلطان انتهت وللأسف الشديد بفشل يكاد يكون تاماً ، ويمكن تعليل هذا الفشل بالاسباب الآتية:-

1- انعدام الاشخاص المقتدرين وافتقار الادارة المغربية الى الخبرة والتجربة ، وسطحية قسم من التدابير الادارية ولاسيما في ميدان التنظيم الحكومي ، وما كان يقف به الموظفون من جمع الاموال على حساب الشعب ، ومقاومة هؤلاء الموظفين لكل جديد .

(1) محمد المنوني ، المصدر السابق ، ص 281-286 .

(2) محمد المنوني ، المصدر السابق ، ص 283 .

(3) المصدر نفسه ، ص ص 281-286 .

2- حالة الرأي العام وموقفه من الاصلاحات: لم يكن الرأي العام المغربي ليدرك الفائدة المتوخاة من وراء الاصلاحات إذ كان ذووا النفوذ كالملاكين الكبار واصحاب الطرائق يضللون الرأي العام مدعين الاصلاحات بدع تخالف الاسلام فظهرت في المغرب مقاومة ثقافية ودينية ضد محاولات الاصلاح واخذ العلماء يحتجون ولا يقبلون ان يغير التعليم التقليدي .

3- فضلاً عن الى ذلك تدخل الدول الاوربية منها ، فقد كانت تضايق كل عمل اصلاحي في شأن أن يعزز جانب المغرب ، وكانت فرنسا واسبانيا على الخصوص من أشد الدول معارضةً لمبدأ الاصلاحات (1) ، وقد حاول السلطان الحسن ان يتخطى هذه العراقيل فاكتفى بالاعتماد على الامكانيات المحلية والتي لم تكن كافية لعملية الاصلاح .

(1) لطيفة كندور ، التنافس الاوربي في المغرب على عهد السلطان الحسن الاول ،مجلة البحث العلمي المغرب ، ص 142

الخاتمة

الخاتمة :

لقد كان خير الدين العقل المدير للإصلاح في تونس إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ما يعني انه استحق عن جدارة لقب أبو النهضة .
الأهم من كل ذلك وضع حد نهائي لحكم الفرد الواحد و مراقبة ما يجري على صعيد الدولة والمؤسسات .

فان ما قام به خير الدين التونسي من إصلاحات طالت مختلف القطاعات شكل ، دفعا لتونس الى الإمام في طريق التقدم .
يمكن القول إن إصلاحات خير الدين في السياسة و الاقتصاد ، و سائر نواحي الدولة و المجتمع ، ما كانت لتتحقق في ظل الفوضى الشاملة التي كانت تضرب تونس يوم جاء إلى الحكم .

و مما يخدر ذكره هنا إن خير الدين التونسي كان وراء إنشاء أول مجلس شورى منتخب ، و ذلك اعتبارا منه إن لا خلاص لتونس مما عليه من تخلف و انحطاط بغير السبيل الديمقراطية

تبين لنا من خلال دراستنا إن السلطان الحسن بن محمد بن عبد الرحمن هو سليل أسرة عريقة هي الأسرة العلوية التي تنتمي إلى النسب النبوي الشريف ، وكان المحيط الذي نشأ فيه السلطان الحسن الأول وامضي طفولته وشبابه ، وقيامه بالكثير من الأعمال نيابة عن والده ، وسعة ثقافته الأثر الكبير في تكوين المنابع الأساسية لتفكيره وتوجهاته المستقبلية نحو القضية المغربية .

برهن السلطان الحسن الأول ومنذ المراحل الأولى من شبابه عن نبوغ كبير حيث اقبل على تحصيل العلوم الدينية والأدبية والرياضية ، وكذلك حرصه على أداء الواجبات ولاسيما الدينية منها ، والرغبة في التعرف على كل ما يدور حوله كذلك امتاز بميله إلى الانعزال وقلة الاختلاط مع إقرانه من أبناء البلاط ، فأدت هذه الصفات دورها في تهيئة السلطان لقيادة المغرب الأقصى .

لم يكن الوسط الاجتماعي الذي نشأ فيه السلطان الحسن العامل الوحيد في تكوين شخصيته بقدر ما كان للإحداث التي عاصرها منذ نشأته ، والتي تمثلت بغزو فرنسا

للجزائر ، والذي كان السبب في الاصطدام المباشر بين فرنسا والمغرب في معركة ايسلي عام 1844 التي انتهت بهزيمة المغرب وعقد بمعاهدة تعيين الحدود بينه وبين الجزائر عام 1845 ، كذلك الغرامة التي فرضتها الحكومة الاسبانية على المغرب بعد هزيمته في معركة تطوان عام 1860 .

أدرك السلطان الحسن الأول ومنذ توليه الحكم بان بلاده تمر في مرحلة دقيقة فقد كانت الأحوال الداخلية والخارجية غير مستقرة وحاول السلطان الحسن إن يتخطى هذه العراقيل ، وان يسلك جميع السبل لبلوغ أهدافه ، فوجه قسطاً كبيراً من اهتماماته بإدخال الإصلاحات والتنظيمات المناسبة للعصر وذلك لتطوير بلاده من جهة وتقوية قدرتها على الصمود في وجه الأقطار الأجنبية من جهة أخرى ، فكانت طليعة إصلاحاته في الجيش ، فأرسل البعثات العسكرية إلى الخارج للتدريب ، وتلقي العلوم العسكرية المختلفة ، واستعمال المدرسين الأجانب لتدريب الجيش ، فبني لذلك المدارس العسكرية والمصانع الحربية لصنع الأسلحة والذخيرة ، وكذلك الإصلاحات الإدارية ، استهدف فيها فرض السيطرة المركزية للدولة ، فعمد على تفتيت الوحدات الكبيرة في البلاد إلى وحدات اصغر ليسهل عليه السيطرة عليها ، إما في مجال الإصلاحات المالية ، قام السلطان بمحاولة في تثبيت سعر العملة وسك ريال جديد عام 1881 هو الريال الحسني ، إما في مجال القضاء فقد ادخل القضاء المدني في المدن التجارية في محاولة منه لقطع الطريق على الأوربيين للمطالبة بامتيازات قضائية واسعة ، من جانب آخر اهتم السلطان بتشييد البروج وإصلاح الشواطئ وتحسين الثغور المغربية .

كان السلطان الحسن الأول كثير الحركة ، ودائم التنقل بين أجزاء مملكته يستطلع بنفسه شؤون بلاده فكانت حملاته أو حركاته التي بلغت تسع عشرة حملة والذي استطاع من خلالها إخماد الفتن والاضطرابات في الاقاليم المغربية المختلفة إذ درس فيها المشكلات ، وعاین مناطق الضعف ووضع الحلول السريعة لها ، كذلك جباية الكثير من الضرائب المترتبة على الشعب ، وكان في نهاية كل حملة يصدر السلطان تقريراً يتضمن مشاهداته وتعليماته وتوجيهاته وأوامره التي تصدر في أثناء الحملة .

قضى السلطان الحسن الأول السنوات الأولى من حكمه بالاستعداد ودراسة الأوضاع السياسية لأنه وجد نفسه إمام استعمار قد احكم سيطرته على بلاده ، وكان لتوقيع

المعاهدات التجارية المختلفة بين المغرب والدول الأوروبية اثر كبير في توضيح الأهداف السياسية لهذه الدول ، وصار موقف الأجانب في البلاد يتركز على حماية أنفسهم من القوانين المغربية ، وكسب امتيازات جديدة بعضها خولتها لهم المعاهدات والاتفاقيات الموقعة مع المغرب ، والأخرى اكتسبوها مع مرور الزمن منتهزين فرصة ضعف الدولة المغربية . كانت قضية الحماية في مقدمة القضايا التي استأثرت باهتمام السلطان الحسن وتفكيره بل كانت تشغل باله وهو لا يزال ولياً للعهد ، فأستقر في ذهن السلطان إن نظام الحماية القنصلية سيؤدي إن استمر إلى خراب المغرب حتماً ، وانه العقبة الكبرى التي تحول من دون تقدمه ، فبحجة الدفاع عن المحميين كانت الدول تتدخل في قضايا تمس سيادة السلطان الحسن نفسه ، وقد تجاوزت الدول الأوروبية ولاسيما فرنسا واسبانيا حدود الحق الذي منح لها ، وأسرفت في منح الحماية فكانت تختار المحميين من أغنياء المغاربة وكبار الشخصيات ذات النفوذ لتستفيد من مراكزهم وعلاقاتهم في توسيع نفوذها السياسي ، وقد عبر السلطان الحسن عن هذه الحالة عندما قال لنائبه محمد بركاش : " ان إدارتنا تكاد لا تجد في البلاد من هو باق تحت سلطتها ، من كثرة ما منحتة الدول الأجنبية من حمايات غير مشروعة " .

فكر السلطان وبصورة جدية وبدعم كبير من بريطانيا في السعي لوضع حد لنظام الحماية ، عندما بدأ في عام 1876 بمفاتيحة بعض الدول الأوروبية ولاسيما فرنسا وإيطاليا وبريطانيا لافتاً نظرها إلى خطورة المشكلة ، وكرر مفاتيحته قناصل الدول مجدداً في العاشر من آذار عام 1877 بمذكرة تعدد مساوئ نظام الحماية على بلاده ، وطالبا عقد مؤتمر لتدارس الموضوع وإقرار إلغاء أو تقليل المساوئ التي تنتج عنها مس سيادة وامن البلاد . ونظراً لأهمية الموضوع ، اقترحت بريطانيا عقد مؤتمر خارج المغرب ، وافق السلطان على عقده خارج بلاده تدعيماً لمركز المغرب الدولي ، فعقد مؤتمر مدريد عام 1880 وعلى الرغم من ان مقررات هذا المؤتمر لم يستجب لرغبة السلطان الحسن ، إلا أنها إفادته في حصر عدد المحميين ، كما أنها منعت المغاربة من التجنس بالجنسيات الأجنبية ، كذلك دولت القضية المغربية ولم يعد من السهل القيام بأي تعديل في الإدارة المغربية أو حتى الإصلاحات دون الحصول على موافقة الدول ، بعد ان صار لكل دولة المشاركة في المؤتمر حق الدولة الأكثر رعاية في معاملتها مع المغرب ، إما الشيء الإيجابي الذي

حصل عليه المغرب في هذا المؤتمر هو الاعتراف بالمغرب دولة حرة مستقلة تحت سيادة السلطان الحسن الأول .

وقف السلطان الحسن الأول مدافعاً عن استقلال بلاده ضد الإطماع الأجنبية في الأقاليم الصحراوية ولاسيما الإطماع الفرنسية والاسبانية والبريطانية إذ احتج السلطان الحسن على مناورات هذه الدول ولاسيما اسبانيا في الصحراء الغربية كذلك وقف بحزم ضد الإطماع البريطانية في طرفاية ولاسيما مشروع مكنزي والإطماع الفرنسية في الصحراء الشرقية ولاسيما توات .

لقد كان السلطان الحسن الأول بمثابة صمام الأمان بالنسبة للبلاد ، ساعده في ذلك التفاف أبناء شعبه ، وقد مكنه ذلك من اداء واجباته حيال وطنه وشعبه ، فكانت سياسته التوازنية التي انتهجها بين الدول الأوربية المتنافسة ، السبب في محافظة المغرب على استقلاله حتى عام 1912 .

الملاحق

الملحق رقم (1) : خير الدين باشا التونسي



المصدر :المصدر : ابن الخوجة محمد، المصدر السابق، ص 125

الملحق رقم(2): صورة جامع الزيتونة في تونس

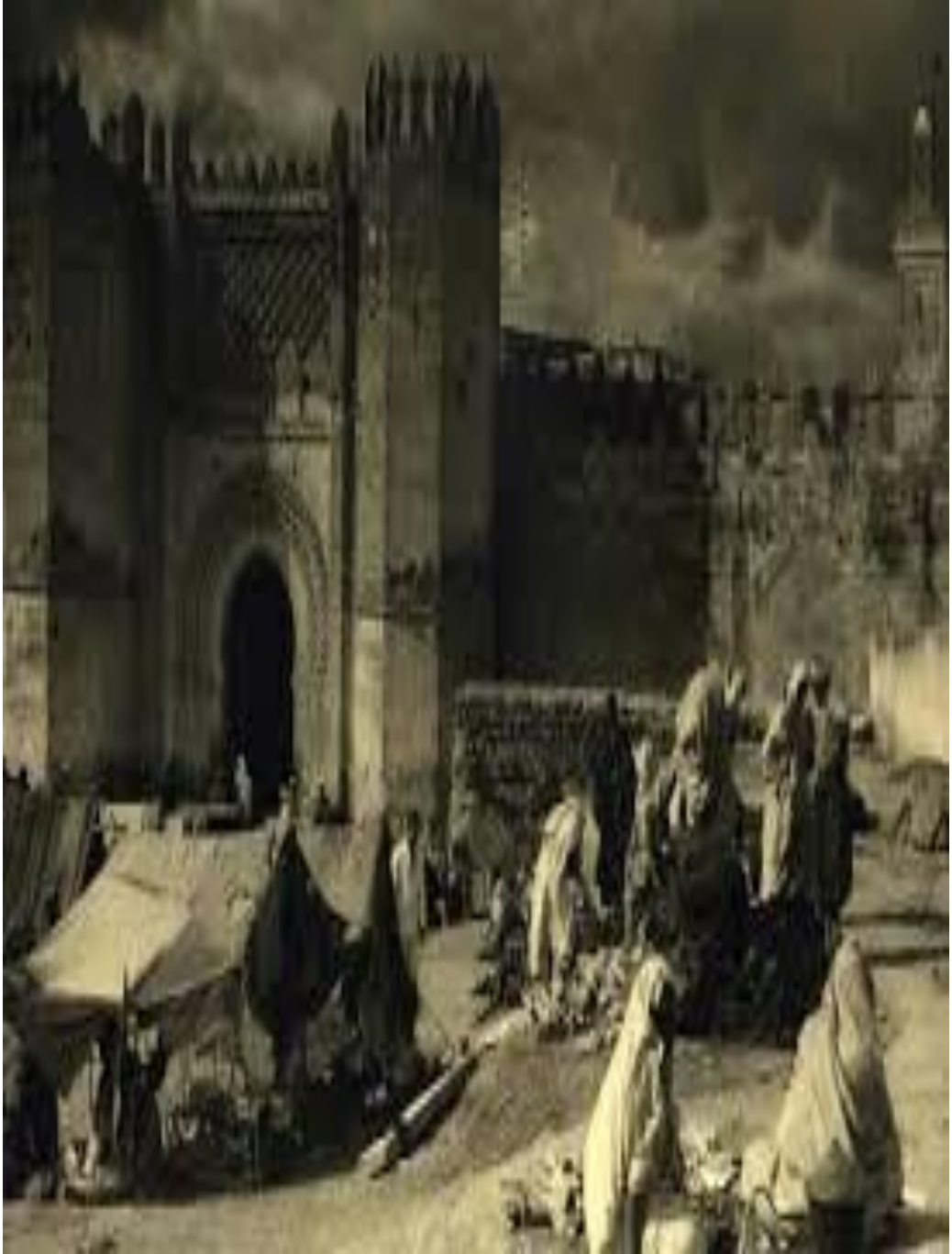


الملحق رقم (3) : السلطان حسن الأول



المصدر :عزيز سلام، ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية

ملحق رقم 4 : الازمة الاقتصادية في المغرب الاقصى



مصدر: عزيز سلام، مرجع السابق، ص 133

الملحق رقم 5 : النقود المغربية في عهد الحسن الأول إلى الفرنك



مصدر : عزيز سلام، مراجع السابق، ص 120

البيليو غرافيا

البيبلوغرافيا

1. المصادر

أ_المصادر العربية:

- 1_ ابن أبي الضياف ،احمد، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، تح لجنة من الشؤون الثقافية، مج (2_ 4) ، ج (4_ 7_ 8)، الدار العربية للكتاب، المطبعة الأساسية المنظمة الصناعية، بن عروس، تونس، 1999م.
- 2_ السنوسي، محمد، مسامرات الظريف بحسن التعريف، لا يوجد معلومات عنه .
- 3_ ابن الخوجة، محمد، صفحات من تاريخ تونس، تق و تح : حمادي الساحلي و الجيلاني بن الحاج يحي ،ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1986م .
- 4_ أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، ج(4، 7، 8، 9)، الدار البيضاء، 1956 .
- 5_ بيرم الخامس التونسي، محمد، صفوة الاعتبار بمستودع الامصار و الاقطار (4_5)، ط 1، دار صاد، بيروت، لبنان، و المطبعة الاعلامية بمصر، 1303 هـ
- 6_ خير الدين التونسي، اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك، ط 1 ن في مطبعة الدولة بحضارة تونس، 1284 هـ

ب _ الموسوعات :

- 1_ الزركلي، خير الدين، الاعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب و المستعربين و الستشرقين، ج(1_2_3)، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ايار مايو 2002م
- 2_ دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرون، المجلد

السابع، مراجعة وزارة المعارف العمومية، مكان الطبع، ب.ت.

3_ عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية، الإعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل، ملحق (2)، المغرب 1977.

4_ عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، بيروت 1974.

5_ احمد، امين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .

6_ محفوظ، محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، ج (2، 3)، ط1

2. المراجع

أ_ المراجع العربية :

1_ أبو حمدان، سمير ،أبو النهضة التونسية خير الدين، موسوعة عصر النهضة، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، 1413 هـ / 1993 م .

2_ احمد صلاح، زكي، إعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ط 1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، مصر ، 2001 م.

3_الجميعي، عبد المنعم ابراهيم ،الدولة العثمانية و المغرب العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2007 م .

4_ الجندي، أنور، اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار (منذ ظهورها الى اوائل الحرب العالمية الاولى)، ط1، دار الاعتصام، و دار العلوم للطباعة ،القاهرة ،مصر، 1978 م .

5_ الزملي، الصادق ،إعلام تونس، إعلام تونسيون، تق و تع : حمادي الساحلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986.

6_ الشريف، محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور من ما قبل التاريخ الى الاستقلال ، تع محمد الشاوش و محمد عجينة، ط 3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م

- 7_ الطويلي، احمد، رسالة المناعي الى المشير الأول احمد باي في الشكوى من احمد ابن أبي الضياف و سائر أعدائه، الدار التونسية للنشر، تونس، ذو الحجة 1397هـ / ديسمبر 1977م .
- 8_ جلال، يحي، تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ،المكتب الجامعي الحديث، الازارطة، الإسكندرية، مصر، 1999.
- 9_ شاكر، محمود ،التاريخ الإسلامي العهد العثماني، ج 8، ط 4، المكتب الإسلامي، بيروت و دمشق و عمان، 2000م.
- 10_ قدورة زاهية ،تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،
- 11_ محافظة، علي، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798_1914) الاتجاهات الدينية و السياسية و الاجتماعية و العلمية، ط 5، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1987م.
- 12_ محجوبي، علي، النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر لماذا فشلت بمصر و تونس و نجحت باليابان ؟، مركز النشر، تونس ماي 1999م .
- 13_ ياغي إسماعيل، احمد، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط 1، مكتبة العبيكة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997م .
- 14_ ياغي إسماعيل، احمد و شاكر، محمود، تاريخ العالم الإسلامي الحديث و المعاصر، ج 2، قارة افريقية ،دار المريخ، الرياض، السعودية، 1993م .
- 15_ إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، الدار البيضاء، 1982.
- 16_ _، السياسة والمجتمع في العهد السعودي، الدار البيضاء، 1987.
- 17_ _، المغرب عبر التاريخ، ج3، ط2، الدار البيضاء، 1985 .
- 18_ إبراهيم شحاتة حسن، اطوار العلاقات المغربية العثمانية قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510-1947)، الاسكندرية، 1981 .

- 19_ أبو القاسم الزياني، البستان الطريف في دولة مولاي الشريف، الرباط، 1992
- 20_ إحسان حقي، المغرب العربي، بيروت، 1975 .
- 21_ أحمد توفيق، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، ج1،
الدار البيضاء، 1978
- 22_ أحمد عبد السلام بو عياش، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، ج1، طنجة،
1974
- 23_ أديب حرب، التاريخ العسكري والاداري، للامير عبد القادر الجزائري، 1808-
1847، بيروت، 1983.
- 24_ أمين الريحاني، المغرب الاقصى، بيروت، 1980 .
- 25_ أمين شاكور وآخرون، شمال افريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل، القاهرة ، ب
. ت .
- 26_ أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا، القاهرة، 1965 .
- 27_ بيبيرنورفن، تاريخ العلاقات الدولية (القرن التاسع عشر) 1815-1941، ترجمة
جلال الدين يحيى، القاهرة، 1990.
- 28_ جرمان عياش، دراسات في تاريخ المغرب، الدار البيضاء، 1986.
- 29_ جلال يحيى، المولى اسماعيل وتحرير ثغور المغرب، الاسكندرية، 1983 .
- 30_ حزب الاستقلال، المغرب الاقصى (مراكش) قبل الحماية - عهد الحماية - افلاس
الحماية، القاهرة، ب.ت .
- 31_ حسن صبحي، التنافس الاستعماري الاوربي في المغرب 1904-1944، القاهرة،
1965 .
- 32_ شارل اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تونس - المغرب - الجزائر، من الفتح
الاسلامي الى سنة 1830، ترجمة، محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج2، تونس،
1978.

- 33_ شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير، ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب
الاقصى، القاهرة، 1977.
- 34_، المغرب العربي الكبير من الفتح الاسلامي الى الوقت الحاضر، القاهرة،
1992 .
- 35_ صلاح العقاد، المغرب العربي بين التضامن الاسلامي والاستعمار الفرنسي، ج1،
القاهرة، ب. ت .
- 36_، المغرب العربي، الجزائر - تونس - المغرب الاقصى، دراسة في تاريخه الحديث
واحواله المعاصرة، القاهرة، 1969م .
- 37_، المغرب في بداية العصور الحديثة، القاهرة، 1963.
- 38_ عباس بن ابراهيم المراكشي، الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام، ج5،
فاس، 1938 .
- 39_ عبد الحميد بن ابي زيان بنشنهو، البيان المطرب لنظام حكومة المغرب، ط2، الرباط،
1951 .
- 40_ عبد الرحمن بن زيدان، اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس، ج2، الرباط،
1930 .
- 41_ عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية، للاعلام البشرية والحضارية، معلمة
الصحراء، ملحق (1)، الرباط، 1976 .
- 42_ عبد الهادي التازي، تاريخ المغرب الدبلوماسي، الرموز السرية في المراسلات
المغربية عبر التاريخ، الرباط 1983 .
- 43_ عبد الوهاب الكيلالي، الموسوعة السياسية، بيروت، 1974 .

- 44_ عبد الوهاب بن منصور، اعلام المغرب العربي، ج1، الرباط، 1979
- 45_ عزيز سلام، ثلاثة قرون وعشر سنوات في تاريخ الدولة العلوية، الرباط، 1979 .
- 46_ علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، تطوان، 1957 .
- 47_ محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج1، الرباط، 1973.
- 48_ نعيمة هراج التوزاني، الامن في المغرب في عهد الحسن الاول 1873-1894،
الرباط، 1979 .

ب_ لمصادر الاجنبية:

- _ Abu Nasr, Jamil. M. A history of the Maghrb. Second Edition,
London, 1978.
- _ Bemis, Samuel Flagg, a diplomatic history of the United State,
fourth Edition, New York, 1955.
- _ Bidwell, Robin, Morocco under colonial rule, London, 1973.
- _ Brace, Richard. M, Morocco- Algeria- Tunisia – New jersey, 1964.
- _ Burk, Edmund, preludo to protectorte in Morocco 1860-1912,
Chicago, 1976.
- _ ConninghamCraham, R.B, Mogreb El-acksa, New York, 1930
- _ Danziger, Rafael, Abdal- Qader and Algrians, New york, 1977.

Cambridge , A History of Modern Tunisia , Kenneth J. Perkins _
2004, University press

ج_الدوريات العربية

1. مجلة تطوان، المغرب .
2. دعوة الحق، المغرب .
3. مجلة البحث العملي، المغرب .
4. البحث العلمي، تونس .
5. المناهل، المغرب .
6. مجلة الارشاد، المغرب
7. المجلة التاريخية، المغرب
8. محافظة، علي، الاصلاح و التحديث في الوطن العربي، الاصلاح و التحديث في تونس
بالقرن التاسع عشر، جريدة الدستور، ع 15119، ج 4/1، الاحد 25 شعبان 1430م/
16 اوت 2009م، سنة 42، عمان الاردن .

د_المذكرات :

- 1_تواتي، محمد و عطلاوي، محمد، سياسة حمودة باشا الداخلية في تونس (1782-
1814م)، مذكرة التخرج لنيل شهادة ماستر تاريخ حديث و معاصر، اش كاكي محمد،
قسم العلوم الانسانية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2013. 2014م

الفهرس

الإهداء

شكر وعرفان

فهرس المحتويات

قائمة المختصرات

مقدمة..... (أ - د)

الفصل الأول : الأوضاع تونس والمغرب الأقصى خلال القرن 19

المبحث الأول : الأوضاع في البلاد التونسية 37_12

1) الأوضاع في البلاد التونسية خلال القرن 19 19_12

2) الأوضاع في البلاد التونسية قبل النهضة 13

1.2 الأوضاع الاقتصادية 13

2.2 الأوضاع السياسية 17_14

3) الأوضاع في البلاد التونسية في عهد الإصلاحات 17

1.3 أحمد باي (1271/1221 هـ - 1859/1811 م) 22_17

2.3 الباي محمد الثاني (1272/1226 هـ - 1859-1811 م) 23_22

3.3 الباي محمد الصادق (1299_1229 هـ/1883_1814) 25_23

المبحث الثاني : الأوضاع في المغرب الأقصى 37_26

1) الدولة العلوية منذ نشأتها حتى عام 1873م 37_26

الفصل الثاني : تعريف بالشخصيات

المبحث الأول : خير الدين باشا (1238-1308/120-1890) 38

- 1) المولده ونشأته..... 39_40
- 2) حياته في القصر الحاكم تونس الباي أحمد باشا..... 40
- 3) مساره في العلم والتعليم 41
- 4) مساره في الجيش..... 42
- 5) مساره الوظيفي 42_44
- 6) وفاته 45

المبحث الثاني : السلطان الحسن الأول 46_70

- 1) نسبه وأسرته وولادته 46
- 2) نشأته 47
- 3) خلافه وزوجاته 50
- 4) نشاط الحسن قبل توليه السلطة..... 53
- 5) بيعته..... 58
- 6) حملاته ضد القبائل المتمردة قبل توليه السلطة 59
- 7) حرص الحسن الأول على تطبيق تعاليم الإسلام..... 67
- 8) وفاته و مدفنه 70

الفصل الثالث : الإصلاحات في تونس والمغرب خلال القرن 19

المبحث الأول : الإصلاحات في تونس خير الدين التونسي	76_71.....
1) الإصلاحات السياسية.....	71.....
1.1 تنظيم الجهاز الحكومي.....	71.....
2.1 تنظيم الجهاز القضائي.....	72.....
2) الإصلاحات الاقتصادية.....	73.....
1.2 القطاع الزراعة.....	73.....
2.2 القطاع الصناعية.....	74.....
3.2 القطاع التجاري.....	74.....
3) الإصلاحات الاجتماعية والثقافية.....	74.....
1.3 القطاع الاجتماعي.....	74.....
2.3 القطاع الثقافي.....	75.....
المبحث الثاني : سياسية السلطان الحسن الأول الإصلاحية	76.....
1. الإصلاحات السياسي.....	76.....
1.1 تنظيم الجهاز الحكومي.....	76.....

80.....	2.1 النظام القضائي
82.....	3.1 استحدث البريد
85.....	(2) الإصلاح العسكرية
85.....	1.2 الجيش
88.....	2.2 التدريب
89.....	3.2 التسليح
93.....	4.2 البحرية
94.....	(3) الإصلاحات المالية
94.....	1.3 الضرائب
96.....	2.3 الإصلاح النقدي
98.....	(4) الإصلاحات الاقتصادية
98.....	1.4 الزراعة
100.....	2.4 الصناعة
104.....	3.4 التجارة
107.....	(5) الإصلاحات الاجتماعية والثقافية
107.....	1.5 الحياة الاجتماعية
110.....	2.5 الحياة الثقافية

111.....	3.5 ظهور الطباعة
112.....	4.5 الصحافة
119_115.....	الخاتمة
125_120.....	قائمة الملحق .
134_127	المراجع والمصادر